الشعور واللاشعور
Conscience et inconscient

أمثلة

- مدخل إلى علم النفس
- علم النفس و الفيزيولوجيا
- المدرسة الاستبطانية
- المدرسة الشكلية
- المدرسة الظواهرية
- المدرسة السلوكية
- مدرسة التحليل النفسي
- الشعور
- اللاشعور

_ فرويد سيغموند- Freud sigmund: (1858_1939)

_اللبيدو- libido - الطاقة الجنسية

_ الجهاز النفسي_أو الشخصية

- التحليل النفسي - Psychanalyse

استنتـــاج

تطبيقات

أسئلة التقويم الذاتي

أجوبة أسئلة التقويم الذاتي

www.edirasa.com

أمثلة

الموضوع	التفسير العقلاني	التفسير الحسي	التبرير
الإنسان	نوع _ كلي _ مجرد _ لا وجود له إلا في العقل وذلك هو الوجود الحقيقي، أي وجود الماهية، المكونة في حالة الإنسان، من الحيوانية والعقل وذلك هو جوهره، أي ماهيته.	مجرد إسم، فلا وجود لشيء إسمه الإنسان إلا على مستوى الكلام واللغة، أما في الواقع فالموجودون هم الأفراد المدركين بالحواس، وحقيقتهم، تكمن فيما تدركه الحواس من صفاتهم الجسمية المختلفة من شخص لآخر، وبالتالي لا يوجد في الواقع شيء يقال له الإنسان.	العقلانيون يعتبرون المجردات والمعاني، أي مدركات العقل هي الوجود الحقيقي، وقد ينكر بعضهم أي وجود آخر خارج العقل. أما الحسيون، فعلى العكس من ذلك، فلا شيء يوجد خارج المدركات الحسية، وقد يذهبون إلى حد ما يطلقون عليه الانطباعات الحسية، فالذي يسميه العقلانيون مجردات هو مجرد انطباعات آتية من العمليات الحسية، أما الشيء الذي لا أصل له في المحسوسات، فهو مجرد وهم لا أساس له من الصحة، ولا وجود له أصلا.
التصور	هو المعنى أو الفكرة، أو الصورة الفكرية المجردة للشيء الواقعي المادي، أو لمعنى عقلي خالص، لا يوجد له أي أصل حسي.	هو انطباع حسي، فكل فكرة أصلها المحسوسات، وما لا أصل له في المحسوسات، هو مجرد وهم، لا معنى له.	_ يعود الفرق بين النظريتين إلى مبدإ المعرفة ومعيارها عند كليهما. _ المبدأ المعتمد لدى العقلانيين، هو العقل. _ وأساس المعرفة ووسيلتها الوحيدة عند الحسيين هي الحواس وحدها.

www.edirasa.com

الكليات	يقول أرسطو لا علم إلا بالكليات، وهي المجردات، إذ أن الأفراد والمحسوسات، لا تمكن معرفتها إلا إذا تم تجريدها، فالعقل لا يعرف حسن وسعيدة ورابح وزينب،وإنما يعرف الإنسان فحسب.	الكليات هي مجرد إسم، والموجود هو الأفراد والأشياء المحسوسة، والانطباعات الحسية، أما ما ليس له أصل في المحسوسات، فهو مجرد وهم لا وجود له أبدا.	هذا الخلاف يعود إلى اختلاف وسيلة المعرفة عند المدرستين. والتي هي العقل وحده لدى العقلانيين، أو الحس وحده عند الحسيين.
اللامتناهي	فكرة مجردة، تفيد اللامحدود، وهي مستعملة خاصة في التفكير الرياضي.	الموجود الحقيقي هو المتناهي، فالإنسان لا يتعامل إلا مع الأشياء المتناهية، أي مع الأفراد ومع أشياء الطبيعة التي لا مكان بينها لأي كائن، يمكن أن يقال له اللامتناهي، فهذا مجرد وهم وخرافة من خرافات العقل.	هذه فكرة من صنع العقل وهب لذلك ذات أصل راسخ وواضح، حيث لا علاقة لها بعالم الحس، عالم الغموض والضبابية والشك، إنها فكرة نابعة من أساس المعرفة الأول العقل. أما بالنسبة للحسيين، ففكرة اللانهاية مرفوضة تماما، لأنها لا علاقة لها بأساس المعرفة الوحيد، أي الحواس، إنها مجرد وهم، ما دامت غير حسية، وليست من بين الانطباعات الحسية.

www.edarasa.com

الفكر	_ هو الانتقال من المعلوم الحاضر في الذهن إلى المجهو،ل أي إلى معرفة جديدة. _ هو قوة نقدية عند كانط الأحكام، والفكر المتعالي عنده، هو الفعل الذي يربط الظواهر بقوتي المعرفة: الفهم والحدس الحسي.	ينكرون الفكر كشيء له وجود حسي، حيث إن مجال الخبرة البشرية كله _عندهم _مصدره وقائع، تخضع للملاحظة المباشرة. وليس الفكر سوى خيال روائي، على عكس اللغة التي يعتبرونها _ دائما _ كواقع، يتم إدراكه عن طريق الحواس	الفكر عند القدماء هو ثمرة المعرفة و نتيجة عملياتها المختلفة و نشاطها المترتب عن القوى المدركة (التصور). أما الحسيون فالفكر عندهم مجرد خرافة و وهم و خياتل ، لأنه غير ناتج عن الإدراك الحسي المباشر.
الحلم	_ ما يراه النائم من صور ذهنية حسية، تتابع عادة، بدون ربط ولا نظام منطقي. _ يميز التحليل النفسي بين المضمون الصريح للحلم، كما يراه النائم، والمضمون الكام،ل الذي يكشف تأويل الأحلام عن دلالته الأولى، والأول رمز للثاني، وينطوي المضمون الكامن على الرغبات المكبوتة.	_ أحلام اليقظة، وهي عبارة عن شرود الذهن وانسلاخه عن العالم الخارجي، مما يوقعه في الأوهام والخرافات، حيث تواكب الذهن مجموعة من الهواجس والخواطر.	_ الحلم ظاهرة نفسية، وهو لذلك حقيقة، ما دام مصدره النفس، وما دامت النفس جوهرا، أو عنصرا أساسيا في الإنسان، وما دام اللاشعور، قد ثبت أنه ظاهرة نفسية حقيقية، فلا بد إذن أن يعتبر العقلانيون اللاشعور حقيقة لا غبار عليها.

www.edirasa.com

الكبت	عملية نفسية لا شعورية، تحول دون خروج الأفكار والرغبات المؤلمة والمحرمة إلى مجال الشعور، رغم بقائها حية فعالة في اللاشعور.	أمر غامض لا يمكن تفسيره، ومن ثم فهو من قبيل الوهم أو الخرافة، ما دام ليس من المحسوسات، أو ليس أصله المحسوسات، مثل الانطباع الحسي.	_ عملية نفسية لا شعورية، تم البرهان عليها، منطقيا وعمليا، عن طريق التحليل النفسي، ومن هنا فإن هذه الظاهرة النفسية مؤكدة، يعترف بوجودها العقلانيوون حتما. _ أما الحسيون، فإنهم يعتبرونها حقيقة إن كانت حسية أو انطباع حسي، مصدره الحواس، أما إن كانت غير ذلك، فهي مجرد وهم وخرافة.
الفطري	يطلق ديكارت هذا المصطلح على وقائع الشعور والتجربة الباطنية، والصور الأولية للمعرفة، أي السابقة على كل تجربة.	هو أمر وهمي خرافي، لا معنى له. حيث يولد الإنسان صفحة بيضاء، خاليا من كل معرفة إلى أن يكتسب كل معارفه فيما بعد عن طريق التجربة الحسية وحدها، فلا معرفة إلا بالحواس، أو ما مصدره الحواس، وهي الانطباعات الحسية.	الفكرة أو الأمر الفطري، حقيقة لاجدال فيها عند العقلانيين، ما دامت النفس عنصر جوهري في الإنسان المتكون من نفس وجسم. أما الحسيون، فلا يرون ذلك لأن الإنسان لديهم، يتكون من جوهر واحد، هو الجسم، ومن ثم لا وجود لشيء فيه فطري، فلا شيء يسبق الإحساس، وما يترتب عن الحس من معرفة حسية أو مصدرها الحس، وهي الانطباع الحسي.

www.edirasa.com

اللاشعور	مجموعة العوامل النفسية والفيزيولوجية، غير المشعور بها. وفي التحليل النفسي، يتكون اللاشعور من المعاني البدائية التي لم تكن قط شعورية، ومن الميول والرغبات والخبرات المكبوتة. ولا يمكن معرفة مضمونه بطريقة مباشرة، بل بواسطة التحليل النفسي، الذي يقوم على الترابطات الحرة والأحلام.	اللاشعور لا معنى له، فهو من قبيل الأوهام والخرافات، ما لم يكن مصدره الحواس أو ما يرجع إلى الحواس، وهو الانطباعات الحسية.	اللاشعور ظاهرة أثبتها علم النفس، والتحليل النفسي، وما دام الشعور موجودا، فإنه بالإمكان وجود اللاشعور. أما الحسيون، فلا يعترفون بما هو نفسي إلا إذا كان من المحسوسات، أو مصدره الحواس، مثل الانطباعات الحسية. ولا يعنيهم بعد ذلك إن كان يدعى شعوريا أو لاشعوريا.
العقدة النفسية	العقدة في التحليل النفسي، هي اتجاه انفعالي لا شعوري، لا يبرح يؤثر في التفكير والسلوك، على الرغم مما أصابه من الكبت والنسيان.	العقدة النفسية حقيقية، إذا كانت حسية، أو انطباع حسي، وإلا فإنها وهم وخرافة، لا أصل لها، ولا معنى، ولا فائدة أو نتيجة ترجى من وراء الخوض فيها.	_ الاعتقاد في وجود النفس كجوهر ومبدأ، يمكن من التصديق بوجود الظواهر النفسية، شعورية ولا شعورية. _ أما إذا كانت النفس ليست جوهرا ولا مبدأ أساسيا للمعرفة، كما هو الأمر عند الحسيين، فإن الظواهر النفسية، شعورية ولا شعورية، لا يقع التسليم بها إلا إذا كانت صادرة عن الحواس، أو ما مصدره الحواس، وهو الانطباعات الحسية.

www.edjinasa.com

ملاحظات:

1_ مدخل إلى علم النفس Psychologie:

قبل الحديث عن الشعور واللاشعور، يجدر بنا أن نتعرف بشكل إجمالي على علم النفس، الذي يدرس فيما يدرس هاتين الظاهرتين:

فعن السؤال "ما هو علم النفس؟"، يمكن الإجابة بإبراز ميدانه رغم تعدد المشروعات المنهجية. وإلى هذا النوع ينتمي مثلا الجواب الذي تقدم به دانيال لاغاش (Daniel Lagache) عام 1947 عن سؤال طرحه عام 1936 إدوارد كلاباريد (Claparède Edouard): إن وحدة علم النفس يبحث عنها هنا في التعريف الممكن لعلم النفس كنظرية عامة في السلوك، وهي تركيب بين علم النفس التجريبي وعلم النفس العيادي والتحليل النفسي وعلم النفس الاجتماعي والإثنولوجيا...

وبتعبير آخر، فإن سيكولوجية الاستجابة والسلوك اعتقدت، في القرن 19 والقرن 20، بأنها تمكنت من أن تصير مستقلة بالانفصال عن كل فلسفة، أي عن التأمل الذي يبحث عن فكرة للإنسان بالنظر فيما وراء المعطيات البيولوجية والسوسيولوجية.

ابن سينا (ما هي النفس؟)

وفي كتاب الشفاء يرى ابن سينا أن كل نفس، حتى نفوس النبات، جوهر ولا عرض. إنها مباينة للبدن وهي مصدروجوده وتقويمه.

في الرؤية والتعبير يعطي ابن سينا تفصيلات العلاقة بين النفس والبدن، قائلاً: إن "الإنسان ليس معنى واحداً، ولكنه مركب من جوهرين، أحدهما النفس والآخر البدن. والنفس له بمنزلة الموضوع، والبدن بجميع أعضائه للنفس كالآلة التي تستعملها للأفعال المختلفة.

وفي موضع آخر يرى ابن سينا، أن النفس والبدن جوهران متباينان، مع علاقة عرضية بينهما، وأن البدن، إن ليست النفس صورته الحقيقية، يلزم أن تكون له صورة أخرى عوض النفس.

www.edirasa.com

– ان مدارس علم النفس مختلفة على تعريف متفق عليه فيما بينها لعلم النفس , ويبدو أننا ما زلنا لسنا على مقربة من ذلك التعريف الجامع المانع المتفق عليه , و على الرغم من ذلك، يمكن القول إن علم النفس يحاول الإجابة عن السؤال " لماذا يتصرف الناس بالطريقة التي يتصرفون بها ؟ "

– ولعل أكثر التعاريف شمولية وعلمية، والذي يتلقى القبول لدى الكثيرين أيضا من المتخصصين، أن علم النفس " هو ذلك العلم الذي يدرس السلوك الظاهر دراسة نظامية ويحاول تفسير علاقته بالعمليات غير المرئية التي تحدث داخل العضوية سواء العقلية منها أو الجسدية من جهة، وعلاقته بالحوادث الخارجية في البيئة من جهة ثانية."

–كان الفلاسفة القدماء، يعتبرون علم النفس _ إن صح التعبير _ حيث كانوا في الحقيقة، يقصدون علم الروح، أو بالأحرى فلسفتها، فرعا من فروع الفلسفة. لأنه يدرس فيما يدرس حقيقة النفس(الروح)، وعلاقتها بالبدن، وبقاءها بعد الموت.

– أما المحدثون، فقد جردوا علم النفس من كل طابع فلسفي، وأطلقوا عليه إسم السيكولوجيا Psychologie بدلا من علم الروحscience de l›âme، فالسيكولوجيا هي البحث في ظواهر النفس لاكتشاف قوانينها، وليس البحث عن جوهرها أو حقيقتها، كما كان القدماء يفعلون. والتعريف المفضل لعلم النفس، بالمفهوم الحديث، هو أنه: (علم الخبرة والسلوك). وكل مجهودات علماء النفس، مهما كانت اتجاهاتهم، أو نظرياتهم، تساهم في أحد هذين الفرعين الأساسيين، الخبرة أو السلوك، أو تجمع بينهما، كما تفعل أغلبية العلماء، والجميع ينظر إلى السلوك والخبرة باعتبارهما تكيف للعضوية بالنسبة إلى المؤثرات، التي تقع عليها.

– وعلماء النفس، بمفهومه الحديث هذا، لا يعتبرون أنفسهم مهتمين بدراسة شيء منفصل عن الجسد، وحتى لو كانت النفس موجودة فعلا، فكونها خارج إدراك الحواس، يجعلها خارج ميدان البحث العلمي الراهن، والذي يقوم أساسا على الملاحظة والتجربة المعتمدتين على الحواس الطبيعية، أو الصناعية، التي تستعين بها الحواس، مثل المجهر وغيره.

– ظهر علم النفس أول مرة في القرن السادس عشر، وانتشر في البلدان الأوروبية في القرن الثامن عشر.

– علم النفس علم وضعي كغيره من العلوم الوضعية، أو أنه لا زال هكذا، غير أن الصعوبات الجمة التي تعترضه مع غيره من العلوم الإنسانية، جعلت بعض المهتمين به، يشرعون في محاولة البحث عن منهج مناسب له، غير المنهج التجربي الذي أثبت نجاحه في مجال الظواهر الطبيعية. ويعتمد علم النفس – لحد الآن – مثل العلوم الوضعية الأخرى، على الملاحظة والتجربة، لكن طريقة البحث فيه مختلفة عن طريقة البحث في غيره، لاعتمادها على أساس مزدوج من الملاحظة الذاتية (التأمل الباطني– الاستبطان) ، والملاحظة الموضوعية الخارجية(ملاحظة منصبة على الغير).

www.edarasa.com

– أما التعريف المفضل لعلم النفس عند صاحب المعجم المذكور سلفا، هو: أن هذا العلم لا يبحث في النفس، بل يبحث في الظواهر النفسية، شعورية كانت أو لا شعورية، بقصد الكشف عن قوانينها العامة، لكن عندما نقول إن علم النفس يبحث في السلوك عامة، وجبت إضافة ما للسلوك الإنساني من جانب داخلي، أو شعوري، لا يجوز إهماله، حتى لا نقع في الخطأ الناتج عن اعتبار علم النفس دراسة للسلوك الظاهر فقط، لأن دراسة السلوك بهذا الاعتبار، على أساس أنه مجرد عمل آلي معقد، يخرج من علم النفس كل ما له علاقة بالفعل والشعور، وهو خطأ.

2_علم النفس والفيزيولوجيا:

أدت الفيزيولوجيا العصبية خاصة دورا بالغ الأهمية، في نشأة علم النفس التجريبي وتطوره، غير أن الموضوعات الأكثر تأثيرا في هذا الشأن، كانت تلك التي لها صلة بالإحساس، حيث سمح التقدم الكبير، الذي حققته الفيزيولوجيا العصبية، بتطبيق نتائجها ومناهجها على – الظواهر العقلية – و على – التكيفات ذات المستوى الأعلى – أي ذات الطبيعة العقلية خاصة. وفي هذا المعنى، صرح " كلود بيرنار "، العالم الفيزيولوجي، وفيلسوف العلوم الفرنسي الشهير، خلال عام 1869 قائلا: (تريد الفيزيولوجيا أن تفسر الظواهر العقلية، بالطريقة نفسها، المستخدمة في الظواهر الأخرى للحياة). وبصفة عامة فإن نشأة علم النفس الفيزيولوجي وتطوره، قد ارتبط بالمدرسة السلوكية في علم النفس.

– تساءل الفيزيولوجي الروسي " بافلوف _ Pavlov" عام 1903، عن:(ما هو السبب، الذي يحمل على تغيير المنهج عند دراسة التكيفات، ذات المستوى الأرفع؟ عاجلا أم آجلا – أجاب – سيعمل العلم مستندا إلى التشابهات، في المظاهر الخارجية، على نقل المعطيات الموضوعية، المتحصل عليها، إلى عالمنا الذاتي، والعلم عندما ينير فجأة وبقوة طبيعتنا الغامضة تماما، فإنه سيوضح المعنى الحقيقي، لما يشغل بال الإنسان، أكثر من أي شيء آخر، وهو وعيه.)

* **بافلوف** (1849 – 1936): هو مكتشف الآلية الهامة المعروفة بالانعكاس، أو التي أطلق عليها إسم المنعكس الشرطي، وهي آلية بالغة الأهمية، إذا علمنا أن علم النفس الفيزيولوجي، والتجربي عامة، والمدرسة السلوكية، إنما تقوم كلها على أساس دراسة السلوك البشري، باعتباره ردود أفعال عضوية جسمية عن مؤثرات مادية معينة مثل الصوت والضوء وغيرهما. لقد زود بافلوف علم النفس الموضوعي التجربي بهذا المفهوم الهام جدا أي " الانعكاس الشرطي"، ومعناه أننا عندما نقرن منبه اصطناعي، مثل الصوت والضوء، بمنبه طبيعي، مثل الطعام، لانعكاس معين هو على سبيل المثال (فرز العصارة الهضمية، بتأثير منبه طبيعي هو الطعام)، وبتكرار هذا الإقران لمدة زمنية كافية، يصبح المنبه الاصطناعي (الصوت أو الضوء) قادرا على إحداث الانعكاس (فرز العصارة الهضمية

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

)، في غياب المنبه الطبيعي (الطعام). وتدل الانعكاسات الشرطية على نمط رفيع من التكيف مع المكان، إذ أن الظروف عند اقترانها بتغير ما، تستخدم كإشارة، عند تكرارها، لتدل على تكيف فيزيولوجي متناسب مع هذا التغير (المثال السابق). أما بالنسبة إلى الإنسان ، فإن اللغة تشكل نظاما ثانيا من الإشارات، بعد النظام الأو،ل الذي شاهدناه في المثال السابق للمنبه والانعكاس المترتب عنه (منبه – استجابة) أو (فعل – رد فعل). فلدى الإنسان يمكن أن يكون المنبه هو اللغة بدل الصوت أو الضوء أو غيرهما من المنبهات الطبيعية أو الصناعية. إن اللغة هي النظام الثاني من التنبيه، أما النظام الأو،ل الذي يشترك فيه مع الحيوان، فهو (الإحساس). وميزة وجود هذا النظام الثاني من التنبيه عن الإنسان، هي أنه يوسع كثيرا مجال نمط التكيف عنده. لقد كان **بافلوف** يقوم بدراسة على الهضم، عام 1897، عندما لاحظ أن وقع خطوات (صوت) خادم المختبر، وهو يقدم الطعام للكلاب، المستعملة للتجريب، تحدث أو تسبب إفراز العصارة الهضمية لدى هذه الحيوانات، وهو ما سماه (الإفراز النفسي). وفي هذا الصدد، يقول " بينيه _ Binet "، العالم النفسي الفرنسي الشهير، أثناء دراسة تجريبية له عن الذكاء:

(يجب أن نفهم من التنبيه Excitation ، ليس فقط دغدغة أعضاء

الحواس بعامل مادي، بل كل تغيير أيضا، نحدثه نحن المختبرون، عن

قصد، في الموضوع الواقع تحت التجربة، وهكذا تعتبر اللغة بالنسبة إلى العالم النفسي منبها، أثمن بكثير، بل هو بدقة المنبهات الحسية. فاللغة يمكن أن تعطي للتجريب السيكولوجي اتساعا ضخما). لقد جاءت المعلومات المتعلقة بالمناطق الدماغية الواقعة تحت قشرة الدماغ، لتضاف إلى المعارف، التي تم الوصول إليها، عن فيزيولوجية القسم الأعلى من الدماغ، وهو اللحاء، كما دلت الأبحاث اللاحقة والعديدة، التي أجريت خاصة بعد سنة 1920، على أن هذا القسم من الدماغ، يلعب دورا مهما في تنظيم الانفعالات والوجدانيات. لقد تخلى علم النفس التجربي أو السلوكي عن دراسة الوعي أو الشعور، أو كل تلك الحالات، التي تخرج عن نطاق ردود الأفعال لجسم عضوي على بيئته وعلى سلوكه، وهذا النوع من الدراسة، ينطبق على الإنسان والحيوان معا، ولا فرق بين هذا وذاك، ما دامت الدراسة، تنصب على السلوك، أي أن موضوع علم النفس، قد أصبح هو السلوك، بالمعنى الذي يحصر السلوك في ردود الأفعا،ل التي يقوم بها جسم عضوي، على المنبهات الداخلية والخارجية المؤثرة فيه. وفي هذا يقول أحد الدارسين: (إنه لمن الممكن، بقدر ما هو ضروري، ليس أبدا إنكار، بل تجاهل الوعي، في هذه الأبحاث التطورية، حول نفسية الأجسام العضوية). وحينئذ وقع التساؤ،ل إذا كانت هذه الأبحاث النفسية، لا تتناول الوعي، فأي شيء تتناو،ل من الأشياء التي لم يسبق للفيزيولوجيا دراستها؟ إنها تتناول فقط سلوك الأجسام العضوية. وهكذا تصبح العلاقة وطيدة بين علم النفس والفيزيولوجيا ، بحيث يصعب لغير المتخصص أن يميز بينهما، وأصبح التعاون بينهما وثيقا، لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة للباحثين في الميدانين، حيث تتشابك وتتداخل الظواهر النفسية

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

والفيزيولوجية، وهكذا يتضح أن علم النفس التجربي، هو دراسة عضوية جسمية مادية بحتة، بحيث لا يبقى مكان لظواهر غير جسمية، ولا وجود لشيء إسمه النفس، ما دامت لا تقبل الملاحظة والتجريب. فالوظائف النفسية هي وظائف جسمية نوعية، لا أكثر من ذلك، ولهذا السبب، وفي هذا المنظور أمكن إدخال التجربة إلى الظواهر التي ظلت تسمى نفسية، وأمكن قيام علم النفس التجربي، الذي أراد واضعوه أن يطبقوا عليه المنهج التجريبي تماما، مثل ما هو الأمر في العلوم المادية الأخرى، علوم الطبيعة، مثل الفيزياء والكيمياء والأحياء. ولعل أهم المدارس النفسية المتمسكة بهذا المفهوم لعلم النفس، هي المدرسة السلوكية.

غير أن التطور الحاصل فعلا في علم النفس، يقتضي التعريف أولا بالمدارس السابقة في الظهور، والتي منها مدرسة الاستبطان، وهي أول مدرسة أو طريقة في البحث عرفها علم النفس.

3_المدرسة الاستبطانية: Introspectionisme

– تزعم هذه المدرسة " تتشنر Titchener "، (1867–1927)، وهو عالم نفس أمريكي، من أصل إنكليزي، وهو تجريبي، وقد اعتبر زعيما للمدرسة البنيوية Srucluraliste، في مواجهة الوظيفية والسلوكية.

– ويتشدد الاستبطانيون، في الإصرار على أهمية الاستبطان، أي (التأمل الباطني) لأحوال النفس، موضوع الدراسة، وقد أرادوا أن يجعلوا منه أساسا للدراسة العلمية للنفس. وذلك بالاعتماد عليه في تحليل النفس، أو الذات، والتعرف الدقيق إلى تفاصيل الخبرة النفسية.

– **الاستبطان Introspection**: يعني الغوص في أعماق الشيء، أي في أعماق النفس، بالنسبة لما نحن بصدده، ومعناه الاصطلاحي، هو ملاحظة النفس الفردية لذاتها، من أجل الوصول إلى حقيقتها، أي من أجل هدف معرفي نظري، وهذا الهدف مزدوج: أوله: محاولة معرفة النفس الفردية، باعتبارها كذلك، أي بصفته الفردية. وثانيهما: محاولة معرفة النفس البشرية العامة، أي باعتبارها نموذج كل نفس بشرية، بقطع النظر عن الأفراد. ويطلق على هذا الاستبطان إسم: التأمل الباطني. أما طريقة الاستبطان التجربي، في علم النفس، فتقوم على تكليف الفرد بالإجابة عن بعض الاختبارات، أو ما يعرف بالروائز، للبحث عن كيفية وصفه لحالته النفسية، خلال إجابته اختبار معين. ويطلق على طريقة الاستبطان التجربي أيضا إسما، يرجع إلى مكان ممارستها الأولى، وهو طريقة " ورزبورغ_Wurzurg "، نسبة إلى الجامعة الألمانية، التي طبقت بها هذه الطريقة.

– **نقد الاستبطان**: لقد كانت مكانة الاستبطان عند " فونت " مرموقة، وهي الطريقة التي تقوم على استعمال ملاحظات الفرد ذاته لتجاربه المباشرة، أي

www.edqiras.com

" أحوال الوعي " لديه لذاته، وما يجري داخل نفسه كمادة للدراسة. لقد قال " فوندت " عام 1858: (إن كل سيكولوجيا تبدأ بالاستبطان). كما كان هناك مشاهير في علم النفس من أمثال " بينيه – A.Binet " الفرنسي، في مشروعه عن البحث التجربي للذكاء، يعتمدون على الاستبطان.

– لكن سرعان ما بدأت نقاط الضعف في هذا المنهج، تظهر للعيان، فهو في الواقع، وبحكم تعريفه، يتناقض مع الطريقة الموضوعية التجربية للبحث، ويتنكر لها. فصيغة أن أنا وحدي القادر على الوصول إلى حالات (وعيي أو شعوري)، وأنا الوحيد القادر على معرفة (تجاربي المباشرة)، هذه الصيغة تتنافى مع التحقق والمراقبة، أو الملاحظة والتجربة المحايدة والمستقلة، والموضوعية البعيدة عن كل تحيز، كما يقتضي ذلك العلم التجربي. لقد ظهرت عيوب الاستبطان لدى مقارنتها في البداية بالمناهج الفيزيولوجية، حيث إن اكتشاف آليات الهضم والتنفس مثلا، لم يتم بالاعتماد على أقوال الأفراد الذين تركوا لمراقبتها بمفردهم. ثم بمقارنة الاستبطان بعلم النفس الحيواني، والنجاحات التي تم إحرازها في مجاله، وبطبيعة الحال لا يمكن لأحد أن يزعم أم علم النفس الحيواني يمكن أن يعتمد على الاستبطان، ما دامت طبيعة الحيوان، تتنافى تماما مع وجود أي استبطان. وهكذا تجاوز التطور العلمي نهائيا، علم النفس الاستبطاني، الذي أصبح من اهتمامات المؤرخين للعلوم، دون غيرهم.

4_ المدرسة الشكلية (الجشطلطية) _ Gestaltisme:

– الجشطلتGestalt كلمة ألمانية، تعني الشكل أو الصورة، وتعني الصورة في هذه المدرسة، الصورة الخارجية، أي الشكل كما تعني البنية الباطنية، والتنظيم الداخلي. والمدرسة الشكلية هذه هي مدرسة ألمانية في علم النفس محدودة الانتشار، بحيث أنها تكاد تنحصر في أصحابها الذين وضعوا دراسات على أساس الشكل أو الصورة، أي النظرة الكلية الشاملة، وهؤلاء الدارسون هم خاصة: " كوهلر – W. koehler " و " فيرتهايمر – M. Wirtheemer " و " كوفكا – K. Koffka " ، تذهب هذه النظرية النفسية، المحدودة الانتشار، إلى أن الظواهر النفسية وحدات كلية منظمة، لها خصائص لا يمكن استنتاجها من مجموع خصائص الأجزاء، حيث أن الدراسات التجربية للوظائف النفسية العليا (مثل الفكر والوعي، وما شابه ذلك)، تقتضي التخلي إلى حد ما، عن الاتجاه التحليلي التجزيئي، الشديد التبسيط، وقد سبق لـ

" فوندت" أن ألح على هذا الأمر، قبل هؤلاء الجشطالطيين.

– ومعنى هذا أن إدراك الكل يسبق إدراك الأجزاء والعناصر، وأن خصائص كل جزء متوقفة على خصائص الكل وليس العكس. ومثال هذا أن الطفل يدرك الحيوان في جملته، أو من حيث هو كل

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

وليس باعتباره مركبا من أجزاء، أي أن الصورة أو الشكل الكلي، هو سبب الإدراك والوعي والفهم. والواقع أنه يصعب التثبت من الحالات المعقدة جدا، عن طريق عدد محدود من العناصر، إذ يصبح الإشكال في هذه الحالة، هو إيجاد كيفية ترابط هذه العناصر. إن إدراك الكلي مباشر، فيما يشبه الحدس، أما إدراك الأجزاء، فهو إدراك مكتسب، ناشئ عن التجريد والتحليل.

5_المدرسةالظواهرية: Phénoménisme Phénoménalisme

- هناك مذاهب كثيرة، تشترك في القول بالظاهرية، منها المثالية، مثل هيجل ومنها الحسية، مثل هيوم، ومنها الوجودية، مثل سارتر، وإن كانت هذه المشاركة، تعني المجال الفلسفي أكثر مما تعني المجال النفسي. فالظاهرية، أو الظواهريون من الفلاسفة، هم الذين ينفون وجود الأشياء في ذاتها، أو الجواهر، حيث يقولون إن الوجود الحقيقي، مؤلف من الظواهر فقط، أي مما يظهر لنا وتدركه الحواس، ولا وجود لشيء آخر، وحتى أولئك الذين لا ينفون وجودا خارج نطاق الحواس، أو المحسوسات، فهم بالتأكيد، يرون أنه ليس بالإمكان إدراك ما هو غير محسوس، إن افترضنا وجوده، أو سلمنا بذلك الوجود غير المحسوس، وبالتالي غير المدرك. فالشيء في ذاته أو بذاته (Chose en soi)، ليس سوى لفظ فارغ من الدلالة الواقعية الموضوعية، فهو مجرد لفظ، أو موجود لغوي لا أكثر. وهناك من الفلاسفة، الذين يقال لهم الظواهريون، من يسلمون بوجود الشيء في ذاته، ولكنهم يقولون إن العقل لا يدرك سوى الظواهر (كانط و أوغست كونت).

- وفي مجال علم النفس، عرفت مساهمة " هوسرل " في علم الظواهر، باسم علم الظواهر المتعالي Phénoménogogie Transcendentale، وهو الطريقة التي توصل إليها العقل بالتحليل المتتابع، إلى مجاورة الشعور المحض أو الخالص، المستقل عن المعطيات التجريبية الحسية، أو إلى مجاورة (الأنا)، من أجل تحديد بنياته الأساسية، وتبيين الخصائص الذاتية، لكل ما يمكننا معرفته، ومعنى هذا أن هوسرل لا يوافق الاتجاه المادي الحسي، كل الموافقة، بل يعترف بوجود الشيء في ذاته، أي وجود جواهر الأشياء، وقد سعى إلى إيجاد المنهج الكفيل بدراسة هذه الجواهر، بغية بلوغ حقيقتها، وهكذا فإن الظاهراتية، أو الظواهرية الهوسيرلية، ليست بالمادية البحتة، بل هي رد فعل ونقد للحسية المادية، التي حصرت الظواهر النفسية في الأجسام العضوية، متجاورة بذلك، ومتداخلة، مع الفيزيولوجيا، فيما يشبه التمازج، والتطابق التام. وعلى أي حال فإن الوجودية المتأثرة بالظاهراتية، والتي تحصر ظاهريتها في الوقائع المحسوسة، المحيطة بالإنسان، والصانعة لظروفه، تتناقض تماما، وتقابل الظاهراتية الهوسيرلية، التي تعترف بالجانب النفسي الذاتي الجوهري في الإنسان، فيما وراء الحس، وفيما وراء الجسم العضوي المادي. ومن دون شك، فإن الاعتراف بوجود نفس، أو جوهر، أو ذات، لا يمكن إلا أن يكون من طبيعة فلسفية، لأن العلم، الذي أصبح علم النفس، ينتمي إليه، لا يهتم بالجوهر، أو بالوجود

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

في ذاته، أو ما وراء الظواهر الجسمية العضوية المادية، فتكون هذه المجالات من الظاهراتية، منتمية بطبيعتها إلى الفلسفة، وإذا قدر لها – يوما– أن تنتسب إلى العلم مستقبلا، فلن يكون ذلك من قبيل العلم التجربي Expérimentale، الذي تنتمي إليه علوم المادة الجامدة والحية، أو علوم الطبيعة، المعروفة، والتي تقوم على أساس الملاحظة والتجربة. بل يكون من جنس العلوم، التي يسعى إليها بعض الطامحين إلى حل مشكلة المعرفة العلمية في العلوم الإنسانية الراهنة، بإيجاد المنهج المناسب، خارج النهج التجربي، بل بمنهج آخر تجريبي أمبريقي Empirique، الذي سوف يكون بمقدوره بلوغ المعرفة العلمية الموضوعية الصحيحة، بطرق أخرى غير التجربة، مثلما هو الأمر في علوم مثل الفلك والجيولوجيا، أو علم طبقات الأرض، تلك العلوم التي لا تستعمل التجربة بطبيعتها، لكنها - رغم ذلك - من العلوم الموضوعية الصحيحة، التي لا خلاف على نتائجها.

6_المدرسة السلوكية: Behaviorisme

تبدو هذه المدرسة، – لأول وهلة – من الإسم الذي أطلقته على نفسها، أنها المدرسة الوحيدة، الجديرة بالانتساب إلى علم النفس، وذلك لأن هذا العلم منذ نشأته بهذه الصفة، أي صفة العلم التجربي، جعل موضوعه السلوك، بالمعنى الذي ينحصر فيه السلوك في الجانب العضوي لجسم مادي، بطبيعة الحا،ل أي أن علم النفس قد أصبح من علوم المادة، ولا يختلف عن علوم المادة الحية، إلا في الموضوع، حيث يتخصص في جانب معين منها، هو جانب السلوك، الذي يصدر عن الوظائف العليا، التي توصف بالعقلية، أو العصبية عامة. ومن هذا الباب، أي باب الأعصاب، يدخل الحيوان في مجال دراسة علم النفس، حيث إن علم النفس الحيواني، هو من أهم ميادين علم النفس، خاصة وأن معظم التجارب، تتم على الحيوان، لاستحالة إجرائها على الإنسان، في كثير من الحالات، أو –على الأقل– لصعوبتها البالغة في الأحوال النادرة، التي تكون فيها ممكنة.

ومهما كان الأمر، فإن المدرسة السلوكية، هي المدرسة التي تتمسك بتطبيق المنهج التجربي، منهج علوم المادة الجامدة والحية تطبيقا تاما، على الظواهر النفسية، باعتبار هذه –أيضا– ظواهر مادية، تتمثل في: (فعل– رد فعل)، أو (منبه – استجابة)، على أن يكون طرفا هذه الصيغة ماديين، فالمنبه مثلا هو الضوء، والاستجابة، هي ما يصدر عن الجسم الذي يتعرض للتنبيه من استجابة، أو رد الفعل كإغماض العين مثلا، أو تضييقها، أو غير ذلك من ردود الأفعال الجسمية المختلفة، تبعا لاختلاف المؤثرات أو المنبهات. وهذا في كل الأحوال دون استثناء، حتى عندما يتعلق الأمر بالوظائف العليا، أو تلك التي توصف بالعقلية، أو الشعورية، فما هي إلا ظواهر مادية عضوية، ينبغي البحث عن تفسيرها، ضمن نفس الصيغة السالفة الذكر.

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

مؤسس هذه المدرسة وزعيمها " واطسون_Watson "، (1878–1958)، وهو عالم نفس أمريكي، يعتبر مؤسس علم النفس السلوكي. وقد كان ذلك التأسيس، عام 1913.

يرى "واطسون" مثل التجريبيين والفيزيولوجيين، أن ملاحظة ردود الأفعال لجسم عضوي، من الخارج، ومراقبة سلوكه، يكفيان لاكتشاف قوانين، تسمح بالتنبؤ بما ستكون عليه ردود الأفعال هذه، عندما تتغير البيئة. فالعالم النفساني، يمكن أن يؤكد معتمدا على ملاحظاته وتجاربه، أن الفأر يميز بين اللونين الأخضر والأزرق مثلا، إذا تمكن من النجاح في تدريب معين، حيث يستطيع هذا الحيوان، إذا وضع في شروط وأحوال يستحيل عليه بموجبها الاهتداء إلا بالألوان، للتوجه إلى طعامه، الموجود مثلا في الدهليز الأزرق، داخل " متاهة " تجريبية، وأن يتجنب الدهليز الأخضر بانتظام، بسبب كهربة أرضيته بتيار كهربائي. وسوف يجتهد " واطسون " لإثبات أن الأمر في السيكولوجيا الإنسانية، هو مشابه تماما، لما يحدث في السيكولوجيا الحيوانية، حيث مجال التجربة واسعا. وتبقى القضية العويصة التي تقف في طريق " واطسن " وأقرانه، هي الوظائف العليا عند الإنسان، الوظائف العقلية، وما يتصل بها. فوضع مسلمة، تنقذ مذهبه، أو نظريته، ولو إلى حين، وهي القول بأن الفكرة هي عبارة، عن (استجابة شفهية) ضمنية، أي أنها تخضع لنفس الصيغة (مؤثر– استجابة)، ولو بصورة شفهية، أو عن طريق اللغة. غير أن جوهر الأمر لا يتغير، فالمسألة تبقى دائما هي الفعل ورد الفعل ولو اختلفت الصورة ظاهريا ونوعيا. فالفكرة أيضا، تتعلق – مبدئيا – بالملاحظة الخارجية، وما الصعوبة القائمة حاليا، إلا صعوبة مرحلية ومؤقتة، سوف تزول – حتما– عندما تتوفر الوسائل التقنية المناسبة لإجراء الملاحظة والتجريب، على هذا المستوى من السلوك، أو الوظائف العليا لدى الإنسان، والتي هي افتراضيا، ليست سوى ظواهر نفسية، من نفس طبيعة الظواهر النفسية الأخرى، ولو اختلفت نوعيا، مما لا يغير شيئا من الناحية المبدئية، كما يعتقد " واطسون ".

من هنا تتضح لنا رؤية هذه المدرسة السلوكية، التي تقول بوجوب معالجة المشكلات النفسية معالجة موضوعية، تشبه معالجة علوم الطبيعة المادية الجامدة والحية، لمشكلات هذه الطبيعة، أي بطريقة الملاحظة والتجربة. ويلاحظ أن هذه المدرسة، تحصر بحوثها في السلوك، وتتجاهل الخبرة، على اعتبار أن الخبرة الشعورية خارجة عن نطاق السيكولوجيا العلمية، وذلك بسبب ما لها من طبيعة شخصية فردية، حيث إن الخبرة الشعورية، هي خبرة فرد بعينه، أو شخص محدد. ومن الواضح أن العلم الموضوعي القائم على الملاحظة والتجربة، لا يمكن أن يقوم على ظواهر شخصية أو فردية خاصة، زيادة على كونها غير قابلة للملاحظة والتجربة.

تعتمد المدرسة السلوكية نظرة آلية في فهم السلوك البشري، وترى في الحوادث النفسية، حوادث فيزيولوجية، تخضع الآلية التي المؤثرات، التي تتبعها ردود أفعال كما هي الصيغة الآلية، سبقت الإشارة إليها

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

(مؤثر اساجابة)، أو آلية (فعل رد فعل). ومما يقال عن السلوكية، هو أن بعض النظريات، أو الآراء السلوكية، قد وقع حولها جدا،ل غير أن الاتجاه إلى علم نفس موضوعي، على غرار علوم الطبيعة، هو أمر لا يقبل الجد،ل ولا الخلاف، إذا أريد لهذا المبحث أن يكون علما، بالمعنى الحديث للعلم، القائم على الملاحظة والتجريب، حيث لا يمكن ذلك إلا فيما هو مادي. وتجدر الإشارة كذلك إلى أن أعمال " بافلوف "، تقع في صميم ما تدعو إليه المدرسة السلوكية، ومن ثم لا يمكن إلا أن توضع تلك الأعما،ل في سياق السلوكية، أو علم النفس السلوكي، لا سيما وأن " المنعكس الشرطي " وهو الفكرة المركزية، والإنجاز الأهم في أعمال " بافلوف "، هو أحد المناهج الأساسية، التي اعتمدت عليها المدرسة السلوكية.

7_ مدرسة التحليل النفسي_La Psychologie Analytique

وهي مدرسة أبدعها وتزعمها طبيب الأعصاب النمساوي الشهير " سيغموند فرويد– Freud Sigmund " (1856_1939)، مؤسس التحليل النفسي، والذي مارس دراسة الفلسفة والفنون، قبل أن يلتحق بدراسة الطب، ويتخصص في طب الأعصاب، الذي كان سبب توجهه إلى الدراسات النفسية، بسبب المشاكل العويصة، التي صادفها عند مرضاه، والتي تبين له أنها ليست ذات طبيعة عضوية. ومن أبرز المساهمين في هذه المدرسة إلى جانب " فرويد "، نجد كلا من " آدلر– Adler (1870–1937)، وهو عالم نفس وطبيب أعصاب نمساوي كذلك، وواحد من تلاميذ "فرويد ". وقد تمثلت مساهمته الأساسية في مجال اختلافه مع أستاذه "فرويد "، في تفسير الاضطرابات العصابية، ونشاط اللاشعور، وذهب إلى أن نشاط اللاشعور، ليس سببه "الليبيدو" (أي الغريزة الجنسية)، كمل يقول فرويد، وإنما سببه " الشعور بالنقص "، بحيث أن المصاب بنقص عضوي مثلا، يحاول تعويض ذلك النقص وتغطيته، عن طريق الأعراض المرضية العصابية، وهكذا فإن كل ما فسره فرويد من الأحوال النفسية بالكبت، فسره آدلر بالتعويض، وبعقدة النقص.

و من المساهمين كذلك " يونغ_Jung " (1875_1961)، هو عالم نفس سويسري ، كما أنه كذلك، من أتباع فرويد وأصدقائه الأقربين، مما أدى بفرويد إلى اقتراحه، ليشغل منصب أول رئيس للجمعية العالمية للتحليل النفسي، سنة 1911، قبل أن يختلف معه يونغ لاحقا، منذ عام 1913، اختلافا جوهريا في أساس التحليل النفسي، وقد اشتهر بسبب هذا الخلاف مع فرويد، ومع زميله آدلر، مما سمح له بأن يبدع أساسا جديدا، يقيم عليه ممارسات التحليل النفسي، إذ يرى أن النظرية الغريزية الجنسية، كما صاغها فرويد، لا تعبر إلا عن جانب واحد من المشكلة، ولذلك فهي غير كافية في تفسير الظواهر النفسية وفي علاج ما يتطلب العلاج من الأمراض النفسية، ولا مفر من إضافة مفهوم أو مبدأ السيطرة إليها، وهكذا رفع آدلر من شأن الفرد، وجعله يسعى إلى الأمن والسيطرة على الأشياء، في حين أن

www.edirasa.com

فرويد قد قلل من شأنه، وجعله مجرد مصدر للاندفاع والميول والرغبات في الأشياء. كما يرى "يونغ" أن هناك نوعين من الناس، أحدهما يتجه إلى الأشياء، أو إلى الخارج أكثر مما يتجه إلى نفسه، فهو "منبسط" أو متفتح، متوجه إلى الواقع الخارجي، ليتكيف معه. والآخر يتوجه نحو نفسه، ويميل إلى الخيال والتأمل فهو "منطو"، منغلق على نفسه، ونشاط الليبيدو عنده متوجها نحو ذاته. كما وضع "يونغ" نظرية في اللاشعور الجمعي، ذهب فيها إلى أن لا شعورنا، قد ورث عبر التاريخ، مخلفات الأجيال السابقة من الأوهام والخرافات والأساطير والمعتقدات، بحيث أن لا شعورنا ليس مليئا بالأزمات التي يحتمل أننا عشناها، أثناء مرحلة طفولتنا فحسب، بل يوجد إلى جانبها الأزمات التي مرت بها الإنسانية جمعاء، منذ أن كانت وحتى يومنا هذا. وهكذا فإن التحليل النفسي Psychanalyse ، قد قام بمحاولة منهجية، لتحليل الحوادث النفسية إلى عناصرها، عن طريق الاستبطان. وقد قام كذلك – كما فعل يونغ – بطريقة التحليل الفني، أي التحليل النفسي للأعمال الفنية، بما تتطلبه من منهجية نوعية خاصة بها، وهي أحد إبداعت "يونغ" الهامة في علم النفس، وبخاصة في علم التحليل النفسي. وبصفة عامة، فإن هذه المدرسة، ترى أن رغبات البشر الشعورية واللاشعورية، ودوافعهم الطبيعية، وخاصة الغريزية، هي العوامل الأساسية للسلوك، عند فرويد، وليست كذلك تماما عند آدلر ويونغ، وأن كبتها ومنعها من الإشباع، هو الذي يسبب الأمراض النفسية، والتي تعالج بإزالة الحوادث التي سببتها من اللاشعور، وإعادتها إلى الشعور عن طريق العلاج النفسي، باستعمال تقنيات التحليل النسي، مثل التداعي الحر وغيره. أما عند آدلر فالشعور بالنقص هو سبب الأمراض النفسية، ويقوم التحليل النفسي عنده على أساس إزالة هذا الشعور، بإخراجه من اللاشعور إلى الشعور. أما يونغ، فيذهب إلى أن سبب الأمراض النفسية هو خاصة الحوادث المكبوتة في اللاشعور الجمعي، والتي يتحتم علاجها بالتحليل النفسي، وذلك باستعمال تقنياته، التي تسمح بإخراج هذه المكبوتات إلى شعور الفرد المريض، فيشفى بذلك، عند وعيه بأسباب مرضه، أو سببه المتمثل في الحادثة المكبوتة.

لقد أسس فرويد نظرية التحليل النفسي، وهو إبداع عظيم، في مجال علم النفس، الذي يعتبر بحق تجريبي أمبريقي Empirique، وليس تجربي Expérimentale ، نسبة إلى التجربة. لقد سبق لنا أن عرفنا أن كل ما هو تجربي تجريبي أمبريقي، في ذات الوقت، وليس العكس، وعبقرية فرويد وجماعته، تتمثل في إبداع علم التحليل النفسي، بالمعنى التجريبي الإمبريقي المنشود، ولم يستعمل فيه التجربة، بالأسلوب المستعمل في علوم الطبيعة، في المادة الجامدة والحية، والتي تستعمل التجربة لإثبات مكتشفاتها، ولكنها تقصر ذلك، وتحصره في الظواهر المادية المحسوسة، ولا شأن لها بالظواهر اللامادية غير المحسوسة أو النفسية، التي ترفض وجودها، أو على الأقل تتجاهلها، كما يفعل السلوكيون، وكل علماء النفس الفيزيولوجيين والحسيين الماديين. أما علم التحليل النفسي التجريبي الأمبريقي، فقد استعمل تقنياته للتجريب والاكتشاف على ظواهر غير عضوية، تتمثل في الحوادث النفسية اللاشعورية والشعورية، وهو يقر بأنها ذات طبيعة غير مادية، تتمثل خاصة في الذكريات

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المؤلمة المكبوتة والمخزونة بعناية فائقة، تجعلها منسية في اللاشعور، وتتمثل عبقرية علم النفس التجريبي الأمبريقي في إخراجها بتقنياته من دهاليز اللاشعور، إلى ميدان الشعور المكشوف تحت الضوء الساطع للوعي، فيتم بذلك الشفاء للمصابين بالأمراض النفسية.

لقد قيل إن نظرية التحليل النفسي، هي علم أو طريقة لمعالجة الاضطرابات العقلية والعصبية, أبدعها فرويد، الذي ينسب السلوك إلى عوامل مكبوتة، أو موجودة في اللاشعور، وقد أبدع كذلك طريقة للتعرف على هذه العوامل المكبوتة اللاشعورية، هي طريقة "التداعي الحر" على الأخص، وقد كان سبب خلاف رفاق فرويد معه، يتمثل في تشدد فرويد في أهمية الغريزة الجنسية، وكونها هي منبع السلوك، أو دافعه الأساسي على الأقل وقد استفاد فرويد من الأحلام، وأحلام اليقظة وغيرهما، في التوصل عن طريق التداعي الحر وغيره من تقنيات التحليل النفسي، إلى اكتشاف الرغبات الجنسية الطفولية المكبوتة في اللاشعور.

وقد قامت مدارس أخرى للتحليل النفسي في زمان فرويد، كما رأينا ذلك عند رفيقيه المنفصلين عنه آدلر و يونغ، وغيرهما من بعده. وهي مدارس تخالف فرويد في الكثير من آرائه، وخاصة منها ‘إصراره على أهمية الغريزة الجنسية في التحليل النفسي، فقد جعلت بعض الأهمية للأسس الاجتماعية والبيولوجية، باعتبارهما الدوافع الأساسية للحياة النفسية البشرية.

وتبقى الإشارة إلى كون العلاج النفسي، قد بدأ لدى أطباء للأعصاب، جاءوا قبل فرويد، وقد استفاد كثيرا من أعمالهم وتجاربهم. ثم إن ميادين علم النفس كثيرة ومتنوعة، لعل أهمها علم النفس الحيواني، بما يتيحه من مجال واسع وخصب للتجريب، الذي يكاد يكون مستحيلا على الإنسان. وعلم النفس الفارقي، الذي يتخذ من الفروق الفردية موضوعا له، والذي يكتسي أهمية بالغة من تطبيقاته، ذات الفعالية في توجيه الطلاب إلى التخصصات المناسبة لميولهم واستعداداتهم النفسية الطبيعية، وأيضا توجيه العمال إلى المهام والأعمال المناسبة لكفاءاتهم وطباعهم، مما يجعلهم أكثر انسجاما مع مناصب عملهم، وبالتالي أنجع وأكثر إنتاجا فيها من غيرها، وما إلى ذلك من التطبيقات الناتجة عن الفروق الفردية بين أفراد البشر.

www.edjinasa.com

8_ الشعور: Conscience

8-1- تمهيد:

الشعور: حين يقول أحدنا أنا أشعر بالألم أو أشعر بجرح في كرامتي، فهذا يعني أننا نعي و نعيش هذه الحالة، و بالتالي فنحن نشعر، وهذا الشعور هو الوسيلة المباشرة، التي تطلعنا على ما نمّر به من حالات نفسية.

و بواسطة هذا الشعور، نستطيع إدراك اللذة والألم، وبالتالي ندرك الحاضر الذي نعيشه، و الذي هو بمثابة محاكمات داخلية آنية، هذا مع العلم أننا نقصد أحياناً الانعطاف نحو الذات لنتأملها بعين الفحص المدقق،وهذا ما ندعوه الشعورالتأملي،المقصود.

إن النفس البشرية تتفاعل من خلال المؤثرات الخارجية، مع ما هو موجود داخل الذات، لتكوّن منظومة الخبرة الحسية الواقعية التي نعيشها، أي التي نحسها، وهنا ملحوظة هامة للتمييز بين ما يمر عليه الإنسان ساعة اليقظة، تميز سلوكه الواعي، و بين ساعة النوم، التي تشتمل على حركات آليةغيرمقصودة.

يمكن للشعور أن يصاب بالاضطراب أو الانحلال بسبب حالات سوء التكيف التي يمر بها الفرد، أو بالحالات المرضية المتطرفة، مثل حالات السبات، أوغيبوبة الصرع، أو النوم المرضي، أو انحلال الشعور

الهيستيري.

8-2- محاولات التعريف:

تذهب المعاجم والمراجع المختصة إلى محاولات تحديد مفهوم الشعور كالآتي:

- الشعور إدراك من غير دليل.
- الشعور هو أول مرتبة في وصول النفس إلى المعنى.
- من معاني الشعور العلم.
- الشعور عند علماء النفس هو إدراك الذات لذاتها. وإدراك الشخص لأحواله وأفعاله إدراكا مباشرا.
- الشعور هو أساس كل معرفة.
- لكن تعريف الشعور، لا يكون إلا تقريبيا، لأنه هو أحد معطيات الفكر الأولية، أي أنه وسيلة أساسية للمعرفة، أو أن تعريف الشعور، لا يكون إلا بواسطة الشعور ذاته، حيث ينقسم – في هذه الحالة إلى عارف ومعروف، أو إلى ذات وموضوع، أو إلى دارك ومدرك في ذات الوقت، لذلك ندركه بأنفسنا حدسيا، أي إدراكا مباشرا، من غير أن نتمكن من تعريفه.

www.edirasa.com

– ويمكن وصف الشعور بأنه الشيء الذي نفقده رويدا رويدا، عندما ننتقل من الصحو إلى النوم. وهو الشيء الذي نسترجعه كذلك رويدا رويدا عندما ننتقل من النوم إلى الصحو.

– يلاحظ أن مراتب الشعور متفاوتة الوضوح:

– أهمها الشعور التلقائي Conscience spontannée ، وهو الاطلاع الحدسي المباشر للنفس على أحوالها، حيث لا يختلف الموضوع عن الذات، أو العارف عن المعروف، فهو هذا وذاك، في نفس الوقت.

– أما الشعور التأملي Conscience réfléchie، فأوضح وأدق من التلقائي، لأنه يقتضي تمييز العارف من المعروف. وفي هذه المرتبة، يستطيع المدرك أن يعرف ما في نفسه، وأن يحلل موضوع معرفته، وأن ينقله إلى غيره.

_ وقد يطلق الشعور على وعي الذات لذاتها Conscience de soi.

أو يطلق على مجموع الأحوال النفسية المشتركة لجماعة معينة، ويسمى – حينئذ - شعورا جمعيا Conscience collective.

– ومن خصائص الشعور الهوية Identité وهي إرجاع كثرة الأحوال النفسية، إلى وحدة النفس المدركة.

– ومن خصائص الشعور أيضا الاتصال Continuité، وهو بقاء الأحوال النفسية الماضية في الأحوال الحاضرة. فالشعور – إذن – وحدة في كثرة، وتغير في اتصال.

– والشعور هو الظاهرة الأولى للحياة العقلية، أو هو ما تتميز به الظواهر النفسية عن الظواهر الطبيعية.

8-3- للشعور عدة مظاهر ، أهمها:

– الإدراك المباشر – الأثر المركزي للتنبيه الحسي – القدرة على الاختيار – إدراك علاقة المدرك بالعالم الخارجي، وقدرته على التأثير فيه .

– نلاحظ مما سبق أن التعريف الموضوعي الدقيق للشعور غير موجود، وكل ما لدينا هو عدة محاولات تقريبية، مما يجعل الموضوع على الحدود بين الفلسفة وعلم النفس، وبطبيعة الحال فإن تعدد التعريفات، وعدم وجود اتفاق على تعريف موحد وموضوعي، بحيث لا يمكن الاختلاف عليه، أي يصبح علميا، يعني أن موضوع الشعور إن كان ينتسب إلى علم النفس، – فإنه ينتمي إلى ذلك القسم منه، الذي لا يمكن وصفه بالعلم الموضوعي التام، بل هو في مثل هذه الموضوعات، لا يزال محافظا – إلى حد كبير– على الطبيعة الفلسفية، حيث يكون الخلاف طبيعيا، على عكس العلم، الذي لا يقبل الخلاف، ما دامت التجربة تحسم كل شيء، وما على من أراد أن يتحقق إلا أن يعيد التجربة، أكثر من مرة، إن هو لم يقتنع. إن مثل هذه الحالة طبيعية، في ميدان العلوم الإنسانية، التي لا زالت تبحث عن مناهجها المناسبة، لتتوصل إلى مرتبة العلم، الذي قد يكون من نوع مختلف عن العلوم التجريبية في

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

المنهج، كما هو الأمر في الموضوع، مما يمكن الإنسان من معرفة ظواهره المختلفة، وبالتالي قدرته على التحكم فيها، ويكون قد اهتدى إلى أنواع من العلوم، تختلف عن علوم الطبيعة، فيزول الخلاف، وتنضبط المعارف، وتحدث الطفرة الهائلة في مجال العلم والمعرفة، لأن محاولة إخضاع الظواهر الإنسانية إلى المنهج المطبق على الظواهر الطبيعية، يبدو أنه أثبت عدم جدواه، ومن ثم وجب البحث عن البديل الذي قد يؤدي إلى الفتح العلمي المنشود.

9- اللاشعور Inconscient :

الشعور لا يصاحب كل أفعالنا، بل يظهر عندما تكون هناك عوائق وصعوبات، وعندما يتطلب الأمر اهتماما، أي عندما يواجه النشاط العفوي الفشل وحيثما تواجه الذات مشكلة حيوية، حيث يبرز الشعور في هذه الأحوال من أجل إيجاد التكيف المطلوب. فهناك

– إذن– من الأفعال ما هو شعوري، كما أن هناك منها ما هو ليس شعوريا.

– تمهيد:

– كان علم النفس عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، قد أدرج "اللاشعور" بين المعاني الرئيسية في علم النفس، بعد أن أكده وبين دوره "إدوارد فون هرتمن" في كتابه "فلسفة اللاشعور" سنة 1869، ومن قبله "كارل جوستاف كاروس" في أبحاثه في اللاشعور، وحوالي القرن التاسع عشر، قامت محاولات عديدة في وقت واحد تقريبا، وفي استقلال بعضها عن بعض، من أجل فهم اللاشعور بواسطة التجريب. وكان الرواد في هذا المجال هم " بيير جاني " في فرنسا ، و" سيغموند فرويد " في النمسا، واشتهر" جاني " بأبحاثه في الناحية الشكلية، و" فرويد " بأبحاثه في مضمون الأعراض النفسية التكوينية.

– مستويات النفس البشرية تضم ثلاث عمليات متصلة ببعضها البعض،

و هي : الشعور، ما قبل الشعور، واللاشعور.

– مفاهيم العقل البشري: إن الدخول إلى أعماق العقل البشري، قد يبدو

– لأول وهلة – ضربا من ضروب الخيال فالعقل شيء لم يدرك بعد، فكيف ندخل إلى مغارة لا نعرف ماهيتها الحقيقية، إن هذا بالضبط هو منهج"

السيكوفيزياء "psychophysique وهو الدخول المغامر إلى نطاق اللا معلوم والوقوف على أسباب مجهولة المنطق، ولكي نقرب الصورة أكثر، نقول إننا ألفنا أن نفكر بمنطقية، بحيث نبحث دائما عن الحدود والتحديثات، وفيما يخص موضوع العقل البشري فإننا نحاول أن نتصوره، ولعل أول صورة

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

نتخيلها عنه هي صورة الدماغ، وهذه التصورات إنما تأتي من الانطباعات المستوحاة من حياتنا اليومية، ولكن هل تلك الانطباعات كلها صحيحة؟ إن العقل هو أداة إدراك الأشياء.

ومن أجل إدراكه هو، وَجَبَتْ علينا الاستعانة بأداةٍ غير العقل نفسه، وهذا يتطلب محاولات حثيثة للـ"تفكير" بُطُرقٍ غير عقلية، أو فوق عقلية وغير تقليدية، كي نكشف الحقيقة بُطُرقِ تفكير تستوحى من نُظُم الفكر الباطني، وتكون لها القدرة والأهلية الكاملة في تقييم ماهية العقل. يقول تشنر: "إن اللاوعي عقل موحَّد، يشترك فيه كل البشر، أي أنه محصلة جمعية لإدراك كل الناس، "وهو في ذلك يشير إلى أعماق اللاوعي البشري (درجات الوعي الباطني)، وإن هذا الرأي الذي يحشر نفسه ضمن مجموعة الآراء في الپاراپسيكولوجيا، هو الأقرب إلى فيزياء اللازمان و اللامكان، فهو يلغي بوضوح المكان وربما الزمان، ونختصر القول بأن علينا أن نفكّر في إطار علمي قابل للتجديد والتحديث، وهنا في هذا الموضوع نقول إن العقل البشري ينتمي إلى طبيعة ماهوية، غير قابله للتحديد، فليس عدم إدراك العقل حتى اللحظة، يعني أزليته و سرمديَّته، وفي الوقت نفسه، قد يعني ذلك أننا أدركناه، وأنه ببساطة، موجود وغير قابل للإدراك بالحواس الاعتيادية، فالعقل في حدِّ ذاته "حاسة خاصة"، كما أشار إلى ذلك الشيخ الرئيس ابن سينا.

فكما نعلم أن مسألة العقل الواعي والعقل اللاواعي، أو العقل الظاهري والعقل الباطني، أو الشعور واللاشعور، مع ماله من اختلاف التسميات، قد وردت في كتب علم النفس الفلسفي، والمراد من كلمة (العقل الواعي و العقل اللاواعي أو الشعور واللاشعور) تعود لبدايات علم النفس الفلسفي، وقد أصلها بشكل كبير مؤسس المدرسة التحليلية فرويد، وتابعه في ذلك من جاء بعده من مدرسته مع بعض الفروق بينهم، والمستفاد أن العقل الواعي والعقل اللاواعي ليسا شيئا جديدا، ويعود لعلم البرمجة اللغوية العصبية، بل هو معروف منذ قيام المدرسة التحليلية، ولكن الخلاف الناشئ بينهم، هو على مسألة الشعور واللاشعور، أو العقل الواعي والعقل الباطن، ووجه الخلاف هو البحث عن الكنه المادي الملموس، الذي سماه فرويد اللاشعور، أين هو؟ هل له طبيعة، أو جسم مادي ملموس، مثل الدماغ و يمكن تحديده تشريحيا كالدماغ؟ ولكنهم لم يتوقفوا عن البحث، وخاصة علماء النفس، وأصحاب المدرسة التحليلية بشكل خاص، فإنهم لم يتوقفوا عند هذا اللغز، بل درسوا العقل الباطن دراسات مستفيضة، وتوصلوا إلى نتائج متقدمة في العلاج النفسي، ومسألة التأثير والتغيير النفسيين، والدليل على ذلك، أولم نؤمن بوجود الهواء، ونحن لم نره، ولكننا لمسنا آثاره؟ أولم نؤمن بالكهرباء، ولم نجد لها ملمسا ماديا، ولكننا لمسنا الآثار؟ أولم نؤمن بالجاذبية؟ وعلى كل حال يقول بعض علماء النفس، وكذلك علم البرمجة اللغوية العصبية أن العقل ينقسم إلى قسمين أو شقين، الشق الأيسر من الدماغ هو العقل الواعي ويستغل ما بين(5-7٪) من عمل العقل الكلي، وأما الشق الأيمن فهو للعقل الباطن ويستغل ما بين (9-95٪) من عمل العقل الكلي.

www.edurqsa.com

9-1- محاولة التعريف:

- اللاشعور: هو تلك الكتلة الضخمة من الحالات التي لا ينالها الشعور، فقد يظهر ذلك في انبثاق الأفكار فجأة أو بالعثور على حلول لمسائل رياضية كانت مستعصية لفترة طويلة ، كذلك ببعض هفوات اللسان غير المقصودة، والتي ظهرت بقوة دافع ليس موجوداً بساحة الشعور. ولعل المثال الأقرب إلى تأكيد اللاشعور هو استيقاظ النائم بالإيحاء (التنويم الإيحائي) و تنفيذه لما طُلب منه ساعة النوم . إن عمليات اللاشعور لا تخضع للزمان ولا للمكان، كونها لا تتأثر بهما ، فهي تقفز فوق مطالبهما وحدودهما، كما أنها لا تتأثر بمنطق أو واقع أو نظام فهي فعالة ونشطة طوال الوقت و تعمل متمركزة حول الذات تمركزاً قوياً . و هذا ما يفسر احتلال دافع الجنس المكانة الأهم بين مكوناتها ، أما كشف العمليات اللاشعورية، فيمكن أن يتحقق من خلال الأحلام، و التداعي الحر، وغير ذلك.

- اللاشعور هو مجموع الأحوال النفسية الباطنية اللاواعية، التي تؤثر في سلوك الشخص، دون أن يشعر بها. ويترتب على مثل هذا التعريف وجود أحوال عديدة من اللاشعور، منها:

أ - **ما تحت الشعور** Phénomènes subconscients : وهي الأحوال اللاشعورية، التي يمكن إخراجها إلى الشعور، باستعمال الانتباه والتحليل والتأمل وهي قسمان: - الأول يتمثل في الأحوال اللاشعورية، التي لا يستطيع الشعور التأملي إدراكها، بسبب ضعفها، كالإدراكات البسيطة. والثاني، يتمثل في الأحوال اللاشعورية، التي يحول اتجاه الفكر، في وقت من الأوقات بين الشخص وبين إدراكها، وذلك مثل الأحوال اللاشعورية، التي لا علاقة لها بالموضوع الذي يفكر فيه الشخص حاليا. وتسمى الأولى أحوال اللاشعور الأولية Subconscience élémentaire، والثانية تسمى أحوال اللاشعور الوظيفية Subconscience Fonctionnelle،

ب- **ما قبل الشعور** Préconscient : لقد أطلق فرويد هذا الإسم على الأحوال اللاشعورية، التي تستطيع بمفردها، أو بواسطة الإرادة، أن تجتاز عتبة الشعور، وتصير شعورية. ما قبل الشعور: هو مستوى يتوسط كلاً من مستوى الشعور واللاشعور ، وهو جسر واصل بين الاثنين لكنه أقرب للشعور . ما قبل الشعور هو ما نستطيع استدعاؤه بسرعة من مكان حفظه لينضم للشعور ، إنه يعمل وفق مبادئ المنطق والواقع والزمن ، إنه باختصار مخزن المعاني و الخبرات القريبة.

ج- **اللاشعور الجمعي** Inconscient Collectif : وهو من اكتشاف "يونغ"، يضعه في مقابل اللاشعور الفردي، ويضيفه إليه، ليكونا معا محتوى اللاشعور، على العكس مما هو الأمر عند "فرويد" و"أدلر"، حيث يقتصر اللاشعور عندهما على اللاشعور الفردي، والفرق بينهما أن اللاشعور الجمعي، مؤلف من المكتسبات الإنسانية القديمة السابقة على وجود الفرد، التي تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل مثل الأساطير والخرافات والمعتقدات، أما اللاشعور الفردي، عند فرويد، فهو مؤلف من مكتسبات الفرد، أثناء تاريخه.

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

د- **واللاشعور** عند البعض هو شعور أعلى Supraconscient :

والفرق بينه وبين الشعور، هو أن هذا الأخير، يقتصر على النقد، والمقارنة، والتصحيح، والتصنيف، والاستقراء، والاستنتاج، في حين أن اللاشعور هو أساس الإبداع.

10_ فرويد سيغموند- Freud sigmund: (1858_1939)

نظرا لمكانة فرويد المحورية، في موضوع اللاشعور، وفي علم النفس عامة، ومن أجل اكتمال الصورة، وتيسير الاستيعاب، وحسن الفهم والإدراك، لما نحن بصدده، من نسق النفس وخاصة اللاشعور، وما يتصل به من تطبيقات علاجية بالغة الأهمية، وغيرها من الاستعمالات الحيوية والعلمية، لكل هذا وغيره، يحسن بنا أن نقدم هذه الشخصية الفذة في تاريخ علم النفس، والتحليل النفسي بصفة أخص، مهما كانت الانتقادات القاسية التي واجهها في وقته، وحتى الآن، ومنها ما هو وجيه علميا، نظرا لأن بعض الافتراضات التي أسس عليها بعضا من نظرياته، هي مجرد فرضيات، ما زالت تتطلب الدليل، وإلا كيف يمكن لمن اختلفوا معه من مدرسته ذاتها، مثل "آدلر" و"يونغ"، أن يمارسوا البحث والعلاج النفسي، بالاعتماد على فروض أخرى مغايرة، ويصلون إلى نتائج مفيدة؟

ومهما تكن طبيعة بعض الفروض " الفرويدية "، والتي قد تكون غير علمية، وغير صحيحة كليا أو جزئيا، أو أنها ليست وحدها أسباب السلوك البشري، أو أسباب الأمراض النفسية، فيكفي فرويد فخرا أنه مكتشف عظيم للكثير من أحوال وظواهر النفس البشرية، والسلوك الإنساني السوي والمرضي، وأنه مارس العلاج النفسي بنجاح باهر، وغير مسبوق.

ولد سيغموند فرويد (Sigmund Freud) في فرايبرغ (Freibburg) وهاجرت عائلته إلى فيينا (Vienne)، عاش هناك حتى سنة 1938، وعندما ضم " هتلر" النمسا إلى ألمانيا، اضطر فرويد إلى تركها، بسبب كونه يهودياً، وعاش في لندن حتى وفاته بعد ذلك بقليل.

درس " سيغموند فرويد" طب الأعصاب في فينيا أولاً، ومارس هذه المهنة لسنوات عديدة. ولاحظ صلة وثيقة بين بعض الأمراض وأنماط سلوك مرضاه. سافر إلى باريس في 1885 للتخصص هناك لدراسة ظاهرة الهستيريا والعلاج بالتنويم المغناطيسي. ثم انتقل إلى مدينة نانسي، ليتتلمذ على أيدي العالمين الفرنسيين " بيرنهايم" و" ليبو" في مجال التنويم المغناطيسي. وعاد فرويد بعد ذلك إلى فيينا، لاستخدام ما درسه في علاج مرضاه.

ألف فرويد كتبا عديدة، دار معظمها حول ظواهر "الهستيريا" و"الأحلام"،

www.edurisa.com

و "التحليل النفسي". وعرض فرويد نظريته في التحليل النفسي، في جامعة كلارك، في الولايات المتحدة، في عام 1909. وأسس جمعية التحليل النفسي في 1910 في فيينا، وعمل منذ 1919 أستاذا في جامعة فيينا. وعانى من مرض عضال منذ 1923 وحتى موته في 1939 .

يمكن إجمال موقف فرويد من الإنسان كما يلي: الإنسان هو كائن نفسي بجانب كونه كائناً عضوياً. ورغم ما يبدو من ازدواجية في هذا التحديد، إلاّ أن كلا " الكائنين"، العضوي والنفسي، يؤثر ويتأثر بالآخر، ومن الخطأ الاعتقاد أنهما منفصلان انفصالاً كاملاً، فبعض الأمراض العضوية ترجع في أصولها إلى عناصر نفسية. وقسم فرويد الجهاز النفسي إلى ثلاثة: الهو (أو اللاشعور) والأنا (أو الشعور)، والأنا الأعلى. و يشمل الهو كافة الغرائز الموروثة والتي توجد في الإنسان منذ الولادة. واعتبر فرويد أن الأنا بمثابة صمام يسمح أو يمنع هذه الغرائز من تحقيق ذاتها. أما الأنا الأعلى فتتضمن مجمل السلوكات التي تقننت شخصياً بسبب التربية الأسرية، أو اكتسبت شرعية اجتماعية، وأصبحت أنماط سلوك اجتماعية، كالعرف والعادة وأشكال الحضارة، المادية منها والروحية. وذهب فرويد إلى أن الجهاز النفسي، يحدد السلوك بأشكاله وأبعاده المختلفة، سواء أخذ شكل الفعل الخارجي، أو استبطان داخلياً.

كرس "فرويد" جزءاً من وقته، في أواخر حياته، لكتابة بعض الأبحاث، التي تعدت مجال علم النفس المحض. و" قلق في الحضارة" هو إحداها. ويطرح فرويد في هذا الكتاب الصلة المركبة، بين ظهور الحضارة وتقدمها، وبين الجهاز النفسي، وتأثير التقدم الحضاري فيه. ويعتبر "فرويد" أب مدرسة التحليل النفسي، وهومن أكبر مشاهير علم النفس الغربي.

لقد تتلمذ فرويد علي يد استاذه شاركو Sharkot في باريس وأعجب به إلي درجة التأثر وعندما تعرف على العالم Janet تطورت قدراته ومهاراته في العلاج النفسي، لاسيما وانه طبيب في الأصل فبدأ يدرّس ويعالج المرضي المصابين في عيادته وقد استخدم العلاج بالكهرباء والتنويم المغناطيسي الذي تعلمه علي يد أستاذه شاركو ؛ إلا أن فرويد لم ترق له فكرة استخدام الكهرباء في العلاج فعدل عنها وبدأ يستخدم التنويم المغناطيسي في بداية الأمر بعد ذلك عدل عن استخدام التنويم المغناطيسي بعد أن اكتشف أنها لا تجدي مع بعض المرضي الذين لا يستجيبون لمحاولات المعالج في تنويمهم . يعود الفضل لجوزيف برويز وهو طبيب نفسي وأحد معارف فرويد الذي شاركه في تأليف كتاب دراسات في الهستريا 1895 الذي فتح الباب علي مصراعيه للتحليل النفسي وعد بداية تأريخ التحليل النفسي لكن هذه الخطوة قوبلت بحملة نقد واسعة من قبل جمهرة من العلماء و الأطباء النفسانيين الذين شككوا بجدوي هذه العملية مما دفع برويز إلي العزوف عن ممارسة التحليل النفسي لهذا السبب وبسبب خوفه من نزوات المرضي الذين يعالجهم.
عندما ترك فرويد عملية التنويم المغناطيسي استخدم طريقة اهتدى إليها فكان يترك مريضه يتحدث بحرية تامة وفي حالة من الصحو التام وهذا ما يسر له الاهتداء إلى التحليل النفسي الذي مازال يحظى

www.edurasa.com

باهتمام العديد من الأطباء والعلماء والباحثين في علم النفس وتستخدم من قبل الكثير من علماء النفس مع ما ادخل عليها من حداثة . في أواخر القرن التاسع عشر توصل فرويد إلي أروع الكشوف التي غيرت وجه التفكير الإنساني مما حدى بعالم النفس البريطاني ماكدونالد McDonald بوصفه على انه إبداع في فهم الطبيعة البشرية، لم يتمكن أحد من التوصل إليه قبل فرويد منذ عهد ارسطو . إن فرويد لم يكتشف مبادئ العلاج بالتحليل النفسي في هذه السنوات فقط ، وإنما وضع مبادئ نظرية الكبت، وإخفاق الرغبات الفطرية عند الإنسان، وإخفاقه في الوصول إلى الاتساق مع بيئته أسريا واجتماعيا، ورسم الخطوط العريضة للنظرية الجنسية وأثر الجنس في نشوء الكثير من الأمراض النفسية، الى أن تمكن من أن يقيم صرح نظريته في التحليل النفساني ونظرياته المتكاملة الأخرى مطلع القرن العشرين، عندما نشر كتاب تفسير الأحلام الذي يعد أول دراسة علمية منتجة لظاهرة الحلم .

لقد حول موضوع تحليل الأحلام وفك رموزها التحليل النفسي من عملية علاج الاضطرابات النفسية إلى سيكولوجيا لأعمال الطبيعة الإنسانية حيث طبقت قوانينها وحقائقها علي مايجري في عقول المرضي و الأصحاء على السواء. عانى فرويد في بداية الأمر من العزلة والجمود والتجاهل ولكنه ظل يعمل بمواظبة وصمت لمدة طويلة من الزمن إلى أن زاد عدد المعجبين به وبنظريته هذه فصار الأطباء وعلماء النفس والأدباء يتاهفتون عليه ويجتمعون في الصالون الذي أقامه في بيته، مرة واحدة علي الأقل أسبوعيا من اجل مناقشة نظرياته وآرائه وإمكانات تطبيقها على الواقع في الميادين التي تستحوذ اهماماتهم، في الوقت الذي كانت فيه فيينا مدينته، مازالت تتجاهله وتغمز وتلمز أبحاثه حيثما ذكرت إلا أنهم أكرهوا وأجبروا على منحه لقب أستاذ مساعد، وخصصوا له يوم السبت لإلقاء محاضراته؛ هذا اليوم الذي يفضل فيه الناس في ألمانيا التمتع بعطلتهم الأسبوعية، بدلا من الاستماع إلى المحاضرات.

يعد يوجين بلويلر من أول أطباء العقل الذين اعترفوا بنظريات فرويد حيث قام بالفعل باستخدامها في علاج مرضاه، تبعه الدكتور كارل غوستاف يونغ الذي ألف كتابا استلهم فيه مادته من نظرية التحليل النفسي الفرويدية، مما زاد من إعجاب الكثير من الأطباء والعلماء في المجالات النفسية بنظرية فرويد هذه بعد أن فسرها يونغ بايجاز في كتابه هذا .

لقد رافق هذه النجاحات انعقاد أول مؤتمر للتحليل النفسي في مدينة سالسبورغ عام 1908 حضره الكثير من العلماء والأطباء النفسانيين من "فيينا" وزيوريخ، وكذلك الدكتور "إرنست جونز" من لندن والدكتور "شاردور فيرنري" من "بودابست"، ولعل أهم ثمرة من ثمرات هذا المؤتمر الاتفاق علي إصدار مجلة التحليل النفسي، التي صدرت عام 1905 بإشراف من الدكتور "بلويلر" ومساعدة رئيسية من "فرويد" و "كارل يونغ"، مما يسر للتحليل النفسي الطريق للانتشار الإقليمي والعالمي، فظهرت بواكيره في كندا والهند وأستراليا، ودول أوروبية، بالإضافة إلي الولايات المتحدة الأمريكية، لقد اتخذ كل من "كارل يونغ" و"الفريد ادلر" مبادئ التحليل النفسي عن غير خبرة ودراية واقتناع فما كان منهما إلا أن انفصلا عن المدرسة الفرويدية للتحليل النفسي، مع الاحتفاظ بما وجداه ملائما منها، وشقا

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

طريقهما في التنظير لتحليل نفسي حمل فيما بعد ملامح كل منهما، وطريقته التحليلية. أما فرويد فقد ظل عاكفا على طريقته دؤوباً في عمله إلي أن ذاع صيته وتوسعت شهرته، وازداد الحضور علي مختبره وعيادته.

11_اللبيدو – libido – الطاقة الجنسية:

اللبيدو عند "فرويد" ، قدرة شبقية، تحفز السلوك. إننا لو أردنا تحديد مفهوم الغريزة(أو الغرائز) الجنسية في النظرية الفرويدية لقلنا بأنها طاقة نفسية فطرية تحرك النشاط النفسي للشخص وتوجهه نحو الإشباع الجنسي. وتبين الخبرة الميدانية أن أفعال الناس الموجهة نحو إشباع رغباتهم الجنسية تصطدم دوماً بعوائق خارجية قادمة من المجتمع. ويعزي "فرويد" سبب ذلك إلى مخالفة الأشكال والأساليب المتبعة في هذا النشاط للقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع. وهذا ما يقود إلى كبت الانفعالات والأفكار التي رافقت أو نجمت عن حرمان الغريزة من الإشباع. فالكبت يحدث، إذن، في كل مرة يصطدم فيها إشباع الغريزة الجنسية بـ"الممنوع الاجتماعي". ومادام الكبت يعني انتقال تلك الانفعالات والأفكار إلى ساحة اللاوعي وبقاءها في حالة نشاط وتأثير على الإنسان، فإن مزيداً من عمليات الكبت سوف يؤدي إلى نشوء الحالة المرضية العصابية، كالهستيريا، وتشكل العقد النفسية، كعقدةأوديب.

ولما كانت الطاقة الجنسية(اللبيدو)، المختزنة في اللاوعي، هي التي توجه أفعال الإنسان وتصرفاته .كما ذكرنا منذ قليل .فقد قرر فرويد أن تكون بداية الحياة الجنسية مع "صيحة الاحتجاج" الأولى التي يطلقها الوليد فور خروجه من رحم أمه. ولهذا نراه يتتبع تجليات الغريزة الجنسية وتحولاتها على امتداد سنوات الطفولة، ويتصور أن تلك التجليات تتجاوز تنبيه العضو التناسلي لتشمل مختلف مناطق البدن. فالوظائف الحياتية تكون مشحونة بشحنة ليبيدوية منذ الولادة. ويطلق فرويد عليها إسم "المناطق الشبقية . الذاتية"، لأن تفريغ شحنتها لا يستدعي وجود موضوع خارجي، وإنما يتم بفعل ذاتي يقوم به الطفل كالمص والحك والتغوط... الخ، وهنا يتحدث عن ثلاثة مناطق شبقية رئيسية هي: الفم والشرج والعضو التناسلي. وبكل واحدة منها يناط إشباع حاجة حيوية معينة. فالفم يتولى إشباع الحاجة إلى الطعام. والشرج يقوم بتخليص العضوية من الفضلات. وعضو التناسل يؤدي وظيفة التكاثر. وهكذا فإن مفهوم الحياة الجنسية عند الطفل في الاستعمال الفرويدي لا يقتصر على الوظيفة التناسلية فقط، بل يشمل "كل ما يتلعق بنشاطات الطفولة الأولى، الهادفة إلى المتعة المحلية، التي يمكن لهذا العضو أو ذاك أن يحصل عليها"، ويلفت فرويد انتباهنا إلى وجود أفعال يقوم بها الطفل عن طريق المناطق الشبقية لا تقود إلى إشباع الحاجة الحيوية المنوطة بها، بقدر ما تحقق خفض التوتر. فقرض الأظافر لا يسد جوع الطفل والاستمناء لا يؤدي إلى الإنجاب، وإنما يساعدان على التخفيف من التوتر،

www.edufasa.com

الذي يعاني منه الفرد. وهكذا فالمناطق الشبقية تلعب دوراً رياديا في نمو الشخصية وتبلور سماتها، لأنها تعتبر، في رأي فرويد، نوافذ لاتصال الطفل بعالمه الخارجي، وبالتالي مصدر تجاربه وخبراته. فما يرافق إشباع الطفل لحاجاته(أو عدم إشباعه لها)، من مشاعر، سوف يصبح مركباً لسلوكه الجنسي اللاحق وسبباً في تهويماته الواعية واللاواعية. ومن هذا المنطلق يقرر فرويد أن الأعوام الخمسة أو الستة الأولى من حياة الإنسان هي التي تحدد معالم شخصيته ونمطها. وتبعاً للمناطق الشبقية وتعاقب تمركز الطاقة الجنسية فيها يقسم مراحل النمو ويصنّف الشخصيات.

12_ الجهاز النفسي_أو الشخصية:

الجهاز النفسي، هو أحد القواعد الأساسية لنظرية التحليل النفسي التي تتمثل في مكونات الشخصية الثلاثة وأن لكل مكون خصائصه وصفاته ومميزاته ، إلا أنها في النهاية تكون وحدة واحدة تمثل شخصية الفرد ، وهذه المكونات الثلاثة هي:

1. الهـو Le ça (اللاشعور) الذي يعتبر منبع الطاقة الحيوية النفسية ومستودع الغرائز والدوافع الفطرية ، وهو يمثل الأساس الغريزي الذي تنتج عنه الطاقة النفسية ، وهو فطري سيكولوجي وموجود منذ الولادة مع الطفل ، وهو مستودع الغرائز ، مثل غرائز اللذة والحياة والموت ، وهذه الغرائز كلها تعمل تحت سيطرة الهو ، وهو أيضا لا شعوري. والوظيفة الأساسية للهو في الكائن العضوي تتمثل في جلب الراحة للفرد، فالهو عند الطفل الجائع تبحث بشكل عنيف وعاجل إلى أن يحصل الفرد على ما يريد من الطعام ، وذلك من أجل حصول الطفل على الراحة والهدوء بعد هذا الإشباع وهذا ما يسمى بمبدأ اللذة، وقد أشار" باترسون " إلى أن الهو تمثل الحقيقة النفسية الصحيحة ، حيث تمثل عالم الخبرات الداخلية للفرد، وليس لديها أي معرفة بالحقيقة الموضوعية ، وتعمل الهو على تحقيق الرغبات دون الاهتمام بالقيم أو العادات والتقاليد والأعراف ، أو بما هو خير أو شر، ولا يحكمها المنطق.

2. الأنا Le moi(Ego): يعتبر بمفهوم التحليل النفسي مركز الشعور والإدراك الحسي الخارجي والداخلي والعمليات العقلية ، وهو الذي يقوم بدور الدفاع عن الشخصية وتوافقها ، وهو الذي يجعل هنا توافقا بين مطالب الهو والأنا الأعلى وبين الواقع واعتبر الأنا المحرك الأساسي للشخصية ، فمن الواقع الذي يعيش فيه الفرد وذلك من أجل تحقيق التوازن والتوافق الاجتماعي للفرد في بيئته، والالتزام بالعادات والتقاليد والقيم، ومن خلال ذلك يظهر لنا أن الأنا هو جزء من الهو، قد تطور وتأثر في العالم الخارجي حتى يتماشى مع الحقيقة، وذلك من أجل إمكان تحقيق المتطلبات الغرائزية ، وعلى الرغم من أن الأساس في الأنا يبحث بشكل أو بآخر عن اللذة ، إلا أنها لا ترضى بالتناقض مع القيم والعادات والتقاليد، التي تحكم سلوك الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه، ولقد أشار "باترسون" إلى أن الأنا هي

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الجزء المنفذ في الشخصية، وتحول احتياجات الهو القوية (الغريزية ، الفطرية) بمساعدة الأنا الأعلى إلى حاجات ضعيفة، مقبول عن طريق إعادة تنظيمها، لكي تتمشى مع متطلبات الأنا الأعلى، ويظهر من ذلك أن الأنا تستمد طاقتها من الهو، وتعمل لخدمته، ومن خلال ذلك نجد أن الأنا تمثل الموجه الأساسي للشخصية ، وكذلك في إعطاء الأسلوب والطريقة التي يتم فيها عملية الإشباع ويظهر ذلك من خلال الصراع الذي يحدث بين كل من الهو والأنا الأعلى والعالم.

3. الأنا الأعلى Super moi(Super ego): وهو يعتبر مستودع المثاليات والأخلاقيات والقيم الاجتماعية والدينية، وكذلك المعايير الاجتماعية والضمير، ويعتبر الجهاز الداخلي أو الرقيب النفسي للإنسان، ويتكون الأنا الأعلى من خلال مراحل النمو الذي يمر بها الإنسان، فيتطور أو ينفصل جزءا من الأنا إلى ما يسمى بالأنا الأعلى وترتكز وظيفة الأنا الأعلى على محاسبة الأنا ، ويسعى الأنا الأعلى إلى كبح جماح الهو، ولا سيما فيما يتعلق بالجوانب الغريزية الجنسية، أو الجوانب العدوانية، ودور الأنا الأعلى هو محاولة مراقبة طبيعة العلاقة بين الهو والأنا ، ويعمل على عدم وقوع الأنا في الخطأ الذي يتعرض له، وقد أشار فرويد في كثير من المواقف إلى أن الكبت الذي يقوم به الفرد هو من خلال الأنا، وليس من خلال الأنا الأعلى ، مع أن المسؤول الأول عن عملية كبتها هو الأنا الأعلى، ومن خلال ذلك فإن الأنا الأعلى يظهر لدى الفرد خلال التنشئة الاجتماعية مع الأسرة، من خلال النواة الأولى من حياة الفرد ، وهذا ما يكسب الطفل المعايير الاجتماعية والقيم والأخلاق والأعراف. وخلاصة القول فإن الأنا الأعلى يمثل الجانب الأخلاقي للشخصية، ويمثل كل ما هو مثالي، ومحاولة الوصول بالفرد إلى الكمال بدل اللذة .

وظائف الأنا الأعلى :

1. محاولة كبح جماح الهو ، وخاصة العدوانية والجنسية.
2. محاولة كبح جماح الهو، و خاصة تاعدوانية و الجنسية.
3. يعمل الأنا الأعلى على إمكان إقناع الأنا بأن يحل الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية.

* الشعور واللاشعور : يرى فرويد أن جانبا من حياة الفرد يقع خارج نطاق وعيه ، وهو ما أطلق عليه اللاشعور ، والذي يؤثر من وجهة نظره على الخبرة والسلوك ، ويشتمل على بعض المواد أو الخبرات التي لا تتاح للشعور، بينما يصبح البعض ضمن الشعور، والمواد التي لا يسمح لها بالخروج إلى حيز الشعور ، هي مواد انفصلت عن التفكير الشعوري ، إما بعدم السماح لها بالدخول أصلا إلى الشعور أو عن طريق كبتها من الشعور، أما الجزء من اللاشعور الذي يسمح له بالدخول إلى الشعور فإنه يطلق عليه ما قبل الشعور أو تحت الشعور، وقد تبقى المادة في ما قبل الشعور دون أن تسبب مشكلات ، وفي المعتاد أن تنتقل إلى الشعور دون تدخل من العلاج النفسي ، ويمكن أن ننظر إلى ما قبل الشعور

www.edurasa.com

على أنه مصفاة بين الشعور واللاشعور ، ويمكن أن تعدل المادة التي في اللاشعور وتظهر في صورة محرفة ، كما تحدث في الأحلام ومفهوم الشعور : هو عبارة عن حالة الوعي المتصلة بالعالم الخارجي ، وكذلك الداخلي في اللحظة الحاضرة ، وقد عبر فرويد في نظرية التحليل النفسي عن ذلك بأنه جزء سطحي من أجزاء الجهاز النفسي و ما قبل الشعور : حيث أشار فرويد إلى ذلك على أنه كل ما يحتوي على ما هو كامن وليس موجودا في منطقة الشعور ، ولكن يسهل على الفرد عملية استدعاء ذلك إلى الشعور ، مثل المعارف والذكريات والكلام، وفرويد قد ساهم بشكل واسع في مفهوم اللاشعور وكذلك مستويات الشعور ، حيث يعتبر المفتاح لفهم السلوك والمشاكل الشخصية. والشعور لا يمكن أن يدرس مباشرة حيث أنه يستنتج من السلوك والشواهد الاكلينيكية ، وقد اشترط ما يلي لفهم اللاشعور وهي :

أ . الأحلام Rèves: حيث أنها تعتبر الرموز المختلفة للحاجات اللاشعورية والرغبات والتعارض.

ب . فلتات اللسان والنسيان.

ج . مرحلة الدخول إلى التنويم المغناطيسي.

د . المواد الناتجة من التداعي الحر.

هـ . المواد الناتجة من أسلوب الإسقاط، ويعتبر الشعور بالنسبة إلى فرويد شريحة رقيقة من العقل ، حيث أنه يشبه قطعة الثلج المغمورة تحت الماء ، ولا يبين منها سوى الجزء القليل الأعلى، وأن الجزء الكبير من الفكر والعقل موجود تحت الإدراك، وعلى **هذا** فإن اللاشعور يعتبر خارج الوعي، يقوم بخزن التجارب والذكريات ، ويكبح بعض الأشياء كما أن الحاجات والدوافع غير سهلة الوصول لأنها خارج الإدراك وأيضا خارج مجال السيطرة واعتقد فرويد بأن الوظيفة النفسية وجدت خارج مجال الإدراك، وهدف طريقة العلاج بالتحليل النفسي هو جعل الدوافع اللاشعورية شعورية، فعندما يكون المرء واعيا بالحاجات الشعورية فعندها يستطيع أن يعمل الاختبار. وقد تكون وظيفة اللاشعور هي عبارة عن التعلق بالجوهر الأساسي، لفهم أسلوب التحليل النفسي للسلوك ، حيث أن اللاشعور هو خارج الإدراك وهو يؤثر على السلوك ، وعملية اللاشعور هي بمثابة الجذور إلى كل الأشكال أو الأغراض العصابية التي تبدو في السلوك وعلى هذا فالعلاج يبنى على كشف معنى هذه الأعراض والأسباب والحاجات التي حجبت، حيث أنها تتعارض مع جعل الفرد متمتعا بصحة نفسية، مراحل تكوين الشخصية عند الطفل : قدمت نظرية التحليل النفسي مساهمات كبيرة في تعريفنا على المراحل الأولى من حياة الطفل ، فمنها التصور الكامل للحالة الاجتماعية والجنسية للفرد في نمو الطفولة حتى الرجولة، حيث تعتبر ذات شأن كبير في عمل المرشد النفسي ، فيكون قد ألم بمراحل النمو التي يمر بها الفرد، كما أن مهام وخصائص النمو تأخذ أشكالا في كل مرحلة، فمثلا يكون الشخص طبيعيا ، وغير طبيعي، ذو شخصية كاذبة أو شخصية حقيقية، فكلها تنمو في السنوات الأولى. وفهم نظرية التحليل النفسي هو أساس لفهم المرشد النفسي للعميل والعمل معه بعمق أكثر وبصورة عامة فهناك مشاكل مهمة تعترض الفرد أو الجماعة وهي :

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أ . عدم الثقة بالنفس أو بالآخرين

ب . عدم القدرة على الاعتراف أو التعبير عن شعور العداء أو الغضب.

أو الاحترام أو الكره ، أو إنكار القوة الفردية، أو تشخيص النقص في الشعور بالاستقلالية.

ج . عدم قدرة الفرد على قبول الشعور الجنسي، أو بالأحرى الخوف من الجنس، وبموجب نظرية التحليل النفسي، فإن هذه المشكلات الثلاث من النمو الشخصي والاجتماعي، هي أمور قد بينت ورسخت جذورها في السنوات الخمس الأولى من حياة الفرد ، وفيما بعد.

13- التحليل النفسي - Psychanalyse:

وهو نظرية في علم النفس، وطريقة علمية في معالجة الاضطرابات العقلية والعصبية، أبدعهما "فرويد"، الذي ينسب السلوك إلى عوامل مكبوتة، موجودة في اللاشعور. وقد أبدع "فرويد" طريقة، للتعرف على هذه العوامل المكبوتة، هي طريقة التداعي الحر. وقد ألح فرويد على أهمية الغريزة الجنسية، واستفاد من الأحلام، وأحلام اليقظة وغيرها، في التوصل إلى الرغبات الجنسية الطفولية (التي تعود إلى مرحلة الطفولة) المكبوتة.

وتوجد الآن، مدارس عديدة في التحليل النفسي، تخالف "فرويد" في كثير من آرائه، ولاسيما في إلحاحه على الغريزة الجنسية، وتعلق بعض هذه المدارس أهمية، على الأسس البيولوجية والاجتماعية للدوافع النفسية.

تعود الجذور الفلسفية للتحليل النفسي الي مؤسسه العالم النمساوي سيغموند فرويد 1856_1939، إلا أن هذا المذهب خضع لكثير من التعديلات والتنقيحات علي يد زملائه من الفرويديين الجدد أصحاب الحداثة في علم النفس، أو ما بعد الفرويديين،أصحاب مدارس ما بعد الحداثة في علم النفس .

لقد بني التحليل النفسي علي مجموعة من الأسس الافتراضية كاللاشعور، أو الدوافع اللاشعورية، أو وجود صراعات لاشعورية تحدث في أعماق النفس لوجود رموز تعبيرية للأحلام قد تدل على وجود صراعات فردية ورمزية لأعراض يعانيها المريض النفسي.

إن التحليل النفسي الفرويدي، أدى إلى ظهور مدرسة التحليل النفسي الحديثة والتي أطلق عليها فرويد تسمية علم نفس الأعماق التي اهتمت بالدوافع المحركة لسلوك الإنسان الشعوري أو اللاشعوري، الذي ينتج حركة دائبة من التفاعل بين قوى الإنسان ؛ وقد ادت هذه الحركة الى ظهور علم النفس التحليلي، الذي اهتم بعمليات التحليل النفسي والنظريات التي اهتمت بهذا الإرث الفرويدي، وما تبعه من جهود العلماء اللاحقين .

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

اما النظريات النفسية التحليلية فهي مجموعة من النظريات تشترك في بعض المبادئ التي نادى بها فرويد في نظرياته مع أخذها بالحسبان العوامل النفسية والعاطفية ذات الأثر الفعّال في حدوث المرض النفسي.

استنتـــاج:

1- الاهتمام بعلم النفس في القديم كان فلسفيا، أو هو فلسفة للنفس، وفي أحسن الأحوال كان موضوعها الشعور، لأن الشعور، لم يكن موضوع بحث على الإطلاق، بل ظل البعض ينكرونه إلى عهد قريب، وحتى أولئك الذين لم يكونوا يتخذون منه موقفا معاديا – عن صح التعبير– لأن الموضوع لم يكن مطروحا على الإطلاق في القديم، حتى هؤلاء جهلوه، وإن كانوا يعترفون بوجود جوانب من النفس خفية و غامضة، لا توجد في ساحة الشعور.

2- النفس كانت معتبرة جوهرا مستقلا عن البدن، وذات علاقة عرضية، غير جوهرية به.

3- النفس بهذا المعنى، هي الروح، أو شيء من هذا القبيل، جوهر مستقر غير مادي.

4- بعض معاني النفس عند ابن سينا كمثال من فلسفة النفس القديمة:

- النفس جوهر قائم بذاته، متعلق عرضيا بالبدن.
- النفس صورة وكمال، وهي مبدأ الوجود والإدراك والحركة.
- النفس جوهر مستقل عن البدن حتى في الحيوان والنبات.
- الإنسان مركب من جوهرين متباينين: النفس والبدن، مع وجود

عرضية بينهما، لذلك ليست النفس هي الصورة الحقيقية للبدن، فيلزم أن تكون له صورة أخرى، غير النفس.

- ليس للنفس وجود قبل وجود البدن، لأن الإنسانية واحدة، ولا يمكنها أن تتعدد إلا بالبدن (وحدة النفس، أي أن النفس واحدة والأجسام متعددة).

5- هناك إشكال تحديد موضوع علم النفس، وبالتالي إمكان وجوده، هل يدرس ظواهر جسمية خاصة به؟ أو يدرس ظواهر غير جسمية؟ فما هي إذن، وما طبيعتها؟ هناك إشكالية موضوع علم النفس.

6 – هناك من يقول إن موضوع علم النفس طبيعي مادي، وهو عبارة عن ظواهر جسمية، في حالة قيامها بوظائف معينة، يمكن استعمالها لقياس الأحوال النفسية (الفيزيولوجيون– السلوكيون التجريبيون– الماديون عموما.)

7- ظهور علم النفس التجريبي الحقيقي(القرن18)، على يد العالم الألماني" فوندت_Wundt" الذي أسس أول مختبر لعلم النفس، يمارس التجريب على الظواهر النفسية. وعلى يده تعلم الكثير من مختلف

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

القارات، وخاصة منها أوروبا وأمريكا وأستراليا، ويذكر أن علم النفس دخل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، قادما إليها، من مختبر فوندت.

8- ينشأ في القرن18 أيضاعلم النفس كعلم للأنا، على يد وولفWolff والأنا هو أحد المكونات الثلاث الأساسية للجهاز النفسي، أو الشخصية، عند " فرويد".

9- تميز هذا القرن 18 بالاهتمام بالأمراض النفسية، أو بعلم النفس المرضي، وقد كان هذا الاهتمام موجودا عند اليونان، وعند المسلمين، ثم اختفى في عصر الظلام الأوروبي، في القرون الوسطى، الشديدة البؤس عندهم، حيث كان المرضى النفسانيون، أو المجانين يقيدون بالسلاسل ويسجنون في ظروف بالغة القساوة. وها الاهتمام بهذا العلم، وبهذا النوع من الأمراض، يعود من جديد، في سياق النهضة الأوروبية الحديثة، كما تحسنت معاملة المرضى النفسانيين، وصاروا يعاملون كمرضى عاديين، وليس كمساجين خطرين.

10- من هذه التطورات، بدأ صوت يرتفع شيئا فشيئا، مناديا بأنه لا يمكن اعتبار علم النفس – منذ الآن – هو علم الشعور فقط، بدليل وجود الأمراض النفسية، المجهولة السب.

11- لم يعد علم النفس هو علم الباطن، تأمل الشخص لأحواله الباطنية، التي لا يستطيع دراستها إلا هو، دون سواه. بل صار هناك علم أعماق النفس كذلك، وهي غير ممكنة التأمل أو الدراسة الباطنية الذاتية، أي أن الاهتمام بالموضوع الذي عرف باسم اللاشعور، قد عاد من جديد، وفي سياق جديد، لأن الاهتمام به، والاعتراف بوجوده، كجانب مظلم من النفس، غير مدرك وغامض، كان موجودا منذ القديم، منذ أن كان الاهتمام بالنفس، وبالأمراض النفسية، ومنذ اليونان، وربما قبلهم بكثير.

12- بدأ الاتجاه العلمي التجربي يتأكد، بظهور علم النفس، كعلم للاستجابة والسلوك، وتلك هي البوادر الأولى لعلم النفس السلوكي التجربي المادي.

13- ظهور الأبحاث التطبيقية، أي التقنيات العملية التطبيقية، لعلم النفس، وكانت هذه الأبحاث خاصة، حول علاقة التعلم بالمهارات، و الكشف عن القدرات وقياسها، وشروط المردودية والإنتاجية الفردية والجماعية في العمل.

14- ظهور علم النفس التجربي ظهورا مؤكدا بارزا.

15- استقلت سيكولوجية الاستجابة والسلوك، وانفصلت، في نظر أصحابها، عن كل فلسفة، في القرنين 19 و 20 ، حيث صار السلوك وحده عندهم هو موضوع علم النفس، وهو ذو طبيعة آلية مادية بحتة، يقوم على أساس صيغة(مؤثر أو منبه استجابة)، ولا وجود لا للعقل ولا للشعور، وإن وجدا فهما مجرد ظاهرة إضافية، مثل الظل لا دخل لهما في السلوك، ولا في غيره، مثل الظل تماما، الذي يشهد الحوادث، ولا يشارك في إحداثها أو صنعها. وأحسن ممثل لهذا التفسير هو" بافلوفPavlov " الروسي، صاحب نظرية (المنعكس الشرطي)، التي أقام الدليل عليها، بتجاربه

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

الشهيرة، التي كان يجريها على الكلاب، وعلى هذه النظرية قامت وتدعمت المدرسة السلوكية في علم النفس.

16- رغم هذا استمر الخلاف في تعريف علم النفس، ولعل التعريف الذي يلقى قبولا كبيرا، هو التعريف السلوكي والمادي عموما، الذي يعتبر علم النفس علما للسلوك، بالمعنى الذي سبقت الإشارة إليه.

17- البداية الحقيقية لعلم النفس، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، كعلم يقوم على التجربة، كانت عام 1879، على يد العالم الألماني " ويلهالم فونت Wundt "، الذي أنشأ أول مخبر لعلم النفس.

18- ظهور اهتمام الفيزيولوجيين، ضمن العلاقة بين علم النفس والفيزيولوجيا، حيث ظهر لعلماء النفس، الذين كانوا علماء فيزيولوجيا أيضا، أو - على الأقل - كانت ثقافتهم الفيزيولوجية عالية، ظهر لهم أن بعض الظواهر العصبية، التي كانوا يدرسونها ضمن الفيزيولوجيا، هي نفسها التي تقوم بوظائف أخرى مختلفة، هي عبارة عن الوظائف النفسية، وحول هذه النقطة دار الجدل الشهير، حول حقيقة الظواهر النفسية، ووقع التساؤل عما إذا كانت جديرة بالوجود؟ وبالتالي لماذا لا تعتبر ظواهر فيزيولوجية، وتدرس ضمن الفيزيولوجيا، وينتهي بذلك هذا الجدل العقيم حول طبيعة النفس، وحول ضرورة وجود علم النفس. وحول هذه النقطة، اشتد الصراع، وقامت مدارس مختلفة في علم النفس.

19- المدرسة الاستبطانية، الوريثة لفلسفة النفس، والتي نالت اعتراف بعض التجريبيين، الذين اعتبروا إمكان التجريب على الظواهر النفسية الباطنية التأملية، كما يصفها أصحابها.

20- المدرسة الشكلية (الجشطلطية)، وهي مدرسة ألمانية، ذات نظرة خاصة، جاءت كرد فعل على الاتجاهات المادية الآلية في تفسير النفس والسلوك، وجعلت إدراك الشكل أو الصورة والمعنى، هو أساس السلوك.

21- المدرسة السلوكية، وقد سبقت إشارات إليها، وقد قامت - خاصة - على مفهوم المنعكس الشرطي الآلي البافلوفي، الذي تحدثنا عنه سابقا.

22- مدرسة التحليل النفسي، تميزت باكتشاف اللاشعور بوضوح، كمكون أساسي من مكونات النفس، وبالجهاز النفسي، أو الشخصية، المتكون من الأنا(ممثل الواقع) و الأنا الأعلى (ممثل المجتمع والأخلاق والضمير)، ومن الهو(ممثل الطبيعة الصرفة، بما فيها من رغبات وغرائز ودوافع فطرية طبيعية، ولاشعورية عامة. وهو لا يتقيد بالضمير، ولا بالقيم والأعراف الاجتماعية، ولا بالمنطق، فكل ما يهمه هو إشباع الرغبات والغرائز الطبيعية، وأهمها الغريزة الجنسية، بهدف تلبية مطالبها الطبيعية، وإزالة التوتر المزعج والقاسي الناجم، عن بقاء التوتر دون إشباع، أو إرضاء، وما ينتج عن ذلك من راحة، وزوال ضغوط التوتر الطبيعية) . إن هذه التوترات الكامنة، أو المكبوتة في اللاشعور، منذ الطفولة المبكرة، منذ الولادة، وحتى نهاية السنة الخامسة من العمر، هي التي تسبب بنشاطها الأمراض النفسية أو العصابية، وهي الموضوع الأساسي الذي قام عليه علم النفس كعلم، وكطريقة، أو تطبيقات

www.edjinasa.com

طبية علاجية، للأمراض النفسية. بحيث إنه إذا تم اكتشاف الأسباب اللاشعورية المكبوتة، ووقع إخراجها إلى مجال الشعور، وعرفها المريض، فإنه يشفى من مرضه النفسي، الذي قد يتخذ مظاهر جسمية متعبة، مثل الشعور بالتعب، دون سبب عضوي، أي بالرغم من سلامة أعضاء الجسم، أو الخلل في بعض الوظائف الجسمية، مثل البصر وغيره، مع سلامة الأعضاء تماما، وكذلك الاضطرابات الصعبة، مثل الصرع والشلل العضوي، وغير ذلك، مما لا يوجد سبب عضوي جسمي له على الإطلاق. أما إخراج هذه الرغبات المكبوتة في اللاشعور والمنسية تماما، بالرغم من بقائها في نشاط، يتسبب للبعض في أمراض خطيرة، ويفسد عليهم حياتهم، فهنا تكمن الصعوبة الكبرى، وهنا حاول سابقون على فريد من أطباء الأعصاب Psychiatres، استعمال طرق لاكتشاف هذه الرغبات المكبوتة، أو الذكريات القاسية المكبوتة كذلك، وإخراجها إلى الشعور، ليحدث الشفاء، فجربوا التنويم المغناطسي، الذي أخذه عنهم فرويد ومارسه، محاولا إحداث التفريغ " طريقة التفريغ " من أسباب المرض لدى المريض، أثناء فترة نومه هذا، ومنهم من تتلمذ على أيديهم.

وتجدر الملاحظة إلى أن فرويد، كان يعترف بوجود الشعور، ويعتبر الظواهر النفسية غير جسمية، لكنه لا يقول بوجود جوهرين مستقلين، النفس والبدن، كما كان الأمر عند القدماء من الفلاسفة وغيرهم، غير أنه يعترف بوجود الظاهرة النفسية المغايرة للظاهرة الجسمية، فالشعور واللاشعور نفسيان، لكن الصلة بين النفس أو الظاهرة النفسية والظاهرة الجسمية وثيقة، بحيث لا يمكن الفصل بينهما، وكأنما فرويد، قد اهتدى دون أن يدري، على أن العلوم الإنسانية، في حاجة إلى مناهج مناسبة لموضوعها، لأن المنهج التجربي المطبق على المادة الجامدة والحية، لا يمكن أن ينجح في دراسة الظواهر الإنسانية، ويمكن اعتبار منهج علم التحليل النفسي مثالا ونموذجا صالحا، لمثل هذه المناهج المطلوبة، تلك المناهج التي يجري البحث عنها اليوم، بعد أن تأكد عجز المنهج التجربي، ووجب تعويضه بمناهج تجريبية إمبريقية، لا تعتمد بالضرورة على التجربة. من المؤكد أن فرويد، قدسار في هذا الاتجاه، إلا أنه لم ينتبه إلى حقيقة اكتشافه المنهجي العظيم، لأن المشكلة ام تكن مطروحة في وقته، فقد كان الإيمان راسخا بقدرة منهج التجربة على دراسة الظواهر الإنسانية، ومن دون شك، فإن فرويد نفسه كان من أكبر المعتقدين في قدرة منهج التجربة، منهج علوم المادة الجامدة والحية.

www.edjirasa.com

تطبيقات:

تعطى لك خمسة جدوال – أيها الدارس– تحتوي على مواد الخانات الأولى منها، وعليك أن تجد محتويات بقية الخانات، من كل جدول.

تطبيق 1

الرقم	الموضوع	شعوري	لا شعوري	المبرر
1	مفهوم	×		
2	نكوص		×	
3	إقناع			
4	تأتأة			
5	تخيل			
6	تذكر			
7	تهيج			
8	صدق			
9	نمو			
10	نزوع			

تطبيق 2

الرقم	الموضوع	شعوري	لا شعوري	التبرير
1	حس			
2	نظرية			
3	وهم			
4	وضوح			
5	فطري			
6	شم			
7	عرفان			
8	ملاحظة			
9	شعور بالنقص			
10	اندفاع			

www.edirasa.com

تطبيق 3

الرقم	الموضوع	شعوري	لا شعوري	التبرير
1	استقراء			
2	حركة			
3	حافز			
4	بصر			
5	إلحاح			
6	إرادي			
7	منطو			
8	التعب			
9	مهارة			
10	معتوه			

تطبيق 4

الرقم	الموضوع	شعوري	لا شعوري	التبرير
1	فزع			
2	فضول			
3	لا أخلاقي			
4	لا مبالاة			
5	رغبة			
6	زيف			
7	رد فعل			
8	هذيان			
9	قلق			
10	تبكير			

www.edarasa.com

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أسئلة التقويم الذاتي

الموضوع الأول – مقالة

قيل إن اللغة، لا تحمل الفكر فحسب، بل هي التي تنظمه و توضحه.

الموضوع الثاني : تحليل نص

"إن اللغة تشمل الحركات القابلة للإدراك التي يستعملها الأفراد، إشارات فيما بينهم. و يمكن أن تكون هذه الحركات قابلة للإدراك في ذاتها، و ذات دلالة بذاتها، مثل الأطراف و رفع الذراع، و إصدار أصوات منغمة، و قد لا تكون أيضا قابلة للإدراك و ذات دلالة إلا بالأثر الذي تتركه، مثل الكلمة المكتوبة على الورق، و اللافتة المشيرة الموضوعة على الأرض.

فالتعريف القائل بأن اللغة هي الوسيلة التي يعبر بها الإنسان عن أفكاره فقير بمقدار ما هو كلاسيكي. إذ أن اللغة وظائف مختلفة، و من أجل الوضوح فإننا نقول إن هناك (استعمالات) مختلفة لوظيفة اللغة، و أن هناك استعمالات للغة :

1- الاستعمال الانفعالي. 2- الاستعمال بقصد اللعب. 3- الاستعمال العملي.

4- الاستعمال التصوري. 5- الاستعمال الجدلي.

و القول بأن هذه الاستعمالات في مستوى تطوري واحد، هو قول بأنها تظهر في فترات متعاقبة من التطور، و بأنها تمثل درجات من التنظيم متزايدة في الارتفاع. فالاستعمال الانفعالي أقدمها، و هو أولها ظهورا عند الطفل. و ظهور الاستعمال بقصد اللعب، يعقب ظهور الاستعمال الانفعالي. ثم يظهر الاستعمال العملي مصاحبا لنمو الأعمال. و في وقت متأخر يظهر الاستعمال التصويري و الاستعمال الجدلي، الذي يفترض نضجا في التعلم كافيا. و القول بأن هذه الاستعمالات تتعاقب أثناء تطور لغة الطفل لا يعني أن بعضها يزيل البعض الآخر تدريجيا، بل هي توجد جميعها في لغة الكهل حيث تتركب بنسب تختلف حسب أحوال و طبيعة و مواقف المتكلم. فالكهل يعبر بلغته عن أحواله الانفعالية، و يلعب و يدعم عمله و يستعيض عن العمل بالإخبار عنه، و يعالج المشاكل معالجة رمزية.

و يمكننا أن نرى في تطور و في سلم هذه الاستعمالات تدرجا من الأكثر عفوية، (أو آلية) إلى الأقل عفوية، و من الأقل إرادة إلى الأكثر إرادة، كما يمكننا، تبعا للاصطلاح الجاكسوني، أن نقسم هذه الاستعمالات إلى فئتين: فئة (الاستعمالات الدنيا) و فئة (الاستعمالات العليا)، فنتعرف في فئة الاستعمالات الدنيا إلى الاستعمال الانفعالي، و الاستعمال بقصد اللعب، و الاستعمال العملي. و في فئة الاستعمالات العليا إلى الاستعمال التصويري، و الاستعمال الجدلي.

و يمكننا التساؤل عن المدى الذي يسمح لنا فيه بالتحدث عن وجود لغة عفوية، إن (باللي) قد ألح أن اللغة مؤلفة من دلائل و إشارات، لان الإشارة هي الإظهار العفوي اللاإرادي لأحد الاستعدادات، أو لأحد الانفعالات، و الدلالة هي الحركة التقليدية الإرادية، التي يتعلق بها قصد التعبير، و لهذا يبدو لنا

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

أنه من المناسب أن نقتبس عن (باللي) تمييزه بين (اللغة التي يحددها الموقف) و (اللغة المحددة تحديدا منهجيا)، ، غير أنه فيما يتعلق بتطور اللغة العادي، و بتفككها المرضي، فإنه يتعين متابعة تدرج الإشارة نحو الدلالة، و تراجع الدلالة نحو الإشارة، فنكتشف بذلك ظاهرة هامة جدا و هي (أن لكل استعمال من الاستعمالات اللغة في ظروفها العادية بنية للجملة خاصة تطابقه، و أن هذه البنية تحتوي عادة في الاستعمالات الدنيا على تغيرات عميقية شبيهة جدا بما يلاحظ على المصابين بالحبسة، من عجز عن تركيب الجمل.

أندري أمبرودان- 1908

أستاذ بجامعة بروكسل- اهتم بالدراسات النفسية

المطلوب: أكتب مقالة فلسفية تعالج فيها مضمون النص.

www.edirasa.com

الإجابة على أسئلة التقويم الذاتي

الموضوع الأول – المقالة

الطريقة : جدلية

I – المقدمة (طرح الإشكال): هل اللغة مجرد مظهر خارجي للفكر؟ أم هي ذات وجود خاص بها، لكنها ذات علاقة بالفكر، بحيث أنها تمثل شرطا لوجوده، و لتحديد نوعيته؟ أو ما هي العلاقة بين اللغة و الفكر؟ هل هي علاقة اتصال أم هي علاقة انفصال؟ هل هما جانبان أساسيان جوهريان لأمر واحد؟ أم أنهما ظاهرتان مختلفتان، بينهما صلات، و نقاط تقاطع، ذات أهمية، و دور أساسي في وظائفهما؟ أو أن السؤال يتجاوز كل هذا إلى البحث عن طبيعة كل من اللغة و الفكر، و عن طبيعة العلاقة بينهما، لما في ذلك من فائدة كبيرة للفكر و الوجود؟

II– التحليل:

1– **القضية** : النظرية الاتصالية

اللغة و الفكر وحدة متلاحمة، فاللغة فكر منطوق و اللغة وحدة نفسية داخلية. إن اللغة و الفكر وجهان لعملة واحدة، فلا وجود لفكر بدون لغة ، و العكس صحيح.

أ– **الحجة:**

– اللغة خاصية إنسانية.

– الإنسان ذو لغة لأنه مفكر.

– الفكر هو شرط وجود اللغة.

– اللغة هي شرط وجود الفكر.

ب–**نقد الحجة** : – الحيوان يتواصل بما يعتبره البعض لغة و هو غير مفكر.

– الصم و البكم يفكرون و لا يستعملون اللغة، بل لا يعرفون اللغة بالمفهوم التقليدي للغة المنطوقة و المكتوبة.

– هناك أحوال نفسية و روحية لا يمكن للغة أن تعبر عنها، مما يجعل البعض يعتبر الفكر أوسع من اللغة.

2– نقيض القضية: النظرية الانفصالية

الفكر أوسع من اللغة و أسبق منها في الوجود.

أ– **الحجة:**– هناك حالات للتفكير في غياب اللغة.

– تعجز اللغة في حالات كثيرة عن حمل الفكر، فكيف لها أن تنظمه و توضحه.

– عجز اللغة في حالات التجريد التام مثل الرياضيات.

– عجز اللغة عن إظهار بعض الحالات النفسية مثل العواطف.

www.eddirasa.com

– عجز اللغة عن كشف الأحوال الروحية مثل الأحوال الصوفية.

ب– **نقد الحجة :**

– لا وجود لفكر بدون لغة.

– التفكير خارج اللغة هو مجرد وهم.

– التأمل أو التفكير الصامت، و ما شابه ذلك، لا يتم إلا باستعمال اللغة.

– الرموز الرياضية و غيرها هي عبارة عن جانب متخصص من اللغة.

– العجز عن التعبير هو عجز لغوي فردي، و ليس دليلا على وجود فكر بدون لغة، بل هو عجز لغوي و فكري، في ذات الوقت، عند شخص معين.

III– الخاتمة: – الاختلاف في تحديد طبيعة العلاقة بين اللغة و الفكر، هو دليل وجود إشكالية في هذا الموضوع.

– المهم هو توحيد الجهود بغية فهم هذه العلاقة، و لا فائدة من استمرار الجدل العقيم من أجلها.

– اكتشاف طبيعة هذه العلاقة سوف يعطي معرفة أرقى،و وجود أسعد للإنسان، و ذلك هو الهدف المنشود.

الموضوع الثاني– تحليل النص:

التعريف بصاحب النص: أندريه أومبيرودان، مفكر بلجيكي، من مواليد 1908 ، اشتغل بالتدريس في جامعة بروكسل العاصمة البلجيكية، و قد كان مهتما بالدراسات النفسية.

شرح المصطلحات و الكلمات الغامضة:

– دلالة: معنى – اللافتة: مثل إشارات المرور. – كلاسيكي: قديم.

– التصوري: المعبر عن التصورات أو الأفكار. – الجدلي: الديالكتيكي المستعمل للقضية و نقيضها.

– الكهل: الراشد، الناضج. – يستعيض: يستبدل. – رمزية: لغوية أو ما شابهها، مثل الرموز العلمية و الرياضية.

– الاصطلاح الجاكسوني: نسبة إلى أحد المتخصصين في الرياضيات.

– تفكك: انحلال. – الحبسة: مرض لغوي يتمثل في العجز عن النطق بالكلمات و الجمل بصورة عفوية، بل بعد محاولات متعددة و متقطعة، قد يبلغ المراد أحيانا.

I– المقدمة – طرح الإشكال:

هل اللغة مجرد وسيلة للتعبير عن الفكر؟ أم هي ذات وظائف متعددة

منها وظيفة التعبير عن الفكر؟ أو بعبارة أخرى، ما هي وظيفة اللغة؟ أو ما هي وظائفها؟

www.eddirasa.com

قلم الجزائر
WWW.DZPEN.COM

II- التحليل:

أ-**الموقف:**اللغة ذات وظائف متعددة.

ب-**الحجة:**- وجود اللغة المكتوبة و اللغة المنطوقة.

- استعمل الإشارات، مثل إشارات المرور.
- استعمال الحركات للتعبير، مثل حركات الأيدي، أو الحركات الجسمية بصفة عامة.
- ظهور مستويات استعمال اللغة متطور مع نمو الطفل.
- تتطور اللغة من مستوى إلى آخر بتطور نمو الطفل.
- ترتبط وظائف اللغة العليا بمستوى التعلم لدى الشخص.
- وجود الاستعمالات الدنيا العفوية البسيطة، و الاستعمالات العليا المجردة و المعقدة للغة.
- التفكك المرضي للغة ، مثل الحبسة، أو العجز عن تركيب الجمل.

جـ- **نقد الحجة:** كل الحجج المستعملة في النص تثبت العكس:

- اللغة المكتوبة و اللغة المنطوقة، كلاهما تعبر عن الفكر.
- الإشارات مرتبطة تماما بأفكار.
- تطور اللغة مع نمو الطفل يرافقه تطور مناسب في التفكير.
- تطور اللغة بتطور التعلم، يساويه تطور ملازم له في التفكير.
- الاستعمالات الدنيا و العليا للغة، مصحوبة و مشروطة باستعمالات مماثلة في التفكير.
- التفكك المرضي ، مثل الحبسة، يصاحبه و يناسبه خلل مماثل و مساويه في التفكير.

III- الخاتمة: يظهر من تحليل الموقفين المتناقضين، أنهما يعبران تعبيرا جزئيا عن الإشكال فالحجج المستعملة متساوية في القوة، و لا تستطيع ترجيح موقف على آخر. و يبقى الإشكال الحقيقي المطروح، و المطلوب البحث عن الحل العلمي و العملي له، هو طبيعة العلاقة بين اللغة و الفكر.

تدرب أيها الدارس ...

الموضوع الأول- مقالة للتصميم:

الموضوع: هل وظيفة اللغة المكتوبة و المنطوقة واحدة؟

الموضوع الثاني- نص للتحليل:

مقولات اللغة و مقولات الفكر

تصبح المسألة عندئذ هي الآتية: إذا سلمنا بأن الفكر لا يدرك إلا مشكلا،

www.edirasa.com

و مستحضرافي اللسان، فهل من وسيلة لدينا –مع ذلك– للاعتراف لهذا الفكر لخاصيات ينفرد بها، و لا يكون فيها مدينا بشيء إلى التعبير اللساني؟ إنه يمكننا وصف اللسان في حد ذاته، لكن ينبغي أيضا بلوغ الفكر مباشرة. فلو كان بإمكاننا تحديد بسمات تخصه وحده دون سواه، لتبين لنا في الوقت نفسه كيف أن الفكر يتوافق مع اللسان، و لتبينت لنا طبيعة العلاقات التي تربط بينهما.

و يبدو من المفيد مقاربة المسألة عن طرق (المقولات)، التي تظهر بصفتها وسائط، فهي بصفتها مقولات فكر لا تتوفر على المظهر نفسه، الذي تتوفر عليه بصفتها مقولات لسان. و عدم التوافق هذا ينيرنا فيما يخص طبيعة كليهما. فنحن نتبين على سبيل المثال و للوهلة الأولى، أن الفكر بإمكانه أن يحدد مقولاته بحرية، و أن يضع مقولات أخرى جديدة، في حين أن المقولات اللسانية، بما هي صفات لنظام يتقبله كل متكلم، و يحافظ عليه، لا يمكن تغييرها حسب أهواء كل واحد منا. و ندرك هنا فارقا آخر، هو أن الفكر يطمح إلى وضع مقولات كلية، في حين أن المقولات اللسانية هي دائما مقولات لسان خاص. إن ذلك يؤكد للوهلة الأولى، تفوق الفكر على اللسان، و استقلاليته عنه.

غير أننا لا نستطيع طرح المسألة في صيغ على هذا القدر من التعميم، بعد أن تناولها قبلنا كثير من المفكرين. لقد بات لزاما علينا، أن نضع أنفسنا داخل الملموس، في وضعية تاريخية معينة و نسبر غور مقولات فكر و لسان محددين، و بهذا الشرط وحده، نتجنب المواقف الاعتباطية، و الحلول النظرية المجردة. و من حسن الحظ أن توفرت لدينا معطيات كأنما أعدت لبحثنا هذا، و هي معطيات تمت بلورتها و إعدادها بطريقة موضوعية و منهجية، و نزلت في صلب مجموعة معروفة. إنها مقولات أرسطو.

و ليسمح لنا، دون الانشغال بالجانب الفلسفي التقني، أن ننظر إلى هذه المقولات قط، من حيث هي جرد للخاصيات، التي كان مفكر يوناني، قد ارتأى أنها محمولة على موضوع، و بالتالي من حيث هي قائمة المفاهيم القبلية، التي تنظم – في رأيه – التجربة. إنها وثيقة ذات قيمة بالغة،لموضوع حديث.

لقد كان أرسطو يبغي من إعداده جدول المقولات هنا، إحصاء كل المقولات الممكنة للقضية، بشرط أن يكون كل حد دالا، و هو في حالة معزولة، أي غير مدرج في مركب، كما نقول نحن اليوم. لقد اتخذ أرسطو – دون وعي منه – من الضرورة الخبرية مقياسا، حتى تكون لكل محمول من المحمولات عبارة متميزة. فقد كان منساقا – دون رغبة منه – إلى العثور على التمييزات، التي يظهرها اللسان ذاته، بين الأبواب الرئيسية للإشكال إذ باختلافها تكتسب هذه الأشكال دلالات لسانية. لقد كان أرسطو يعتقد أنه يحدد صفات الموضوعات، لكنه لم يقم بذلك إلا بوضع كائنات لسانية. ذلك أن اللسان بفضل مقولاته الخاصة، هو الذي يسمح بالتعرف على تلك الصفات

و بتحديدها.

هكذا يحصل لنا جواب، عن السؤال الذي طرحناه في البداية، و الذي قادنا إلى هذا التحليل. لقد كنا نتساءل عن طبيعة العلاقات بين مقولات الفكر و مقولات اللسان، إن مقولات أرسطو، إذا سلمنا

www.edirasa.com

بأنها مناسبة للفكر، تتجلى لنا بمثابة نقل للمقولات اللغوية. إن ما يمكننا قوله هو الذي يحدد ما يمكننا تعقله و ينظمه. إن اللسان هو الذي يمدنا بالشكل الخارجي الأساسي للخاصيات التي يعترف بها الفكر للأشياء، فجدول هذه المقولات، يخبرنا – إذن و قبل كل شيء – عن بنية الأبواب في لسان ما بعينه. و ينتج عن ذلك أن ما يقدمه أرسطو على أنه قائمة شروط عامة و ثابتة، ليس إلا إسقاطا مفهوميا، لوضع لساني معين.

إميل بينفنيست E. Benveniste ـ 1902ـ 1976

عالم لسانيات فرنسي

المطلوب : أكتب مقالة فلسفية حول النص، تبين فيها الإشكال و الموقف منه، و الحجج المستعملة و نقدها، و الاستنتاج.

www.eddirasa.com